مركز الوجدان الحضاري
WIJDAN CULTURAL CENTER

دولة قطر
وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE
STATE OF QATAR

التصورات الكبرى والتقدم الاجتماعي

إعداد مركز الوجدان الحضاري

التصورات الكبرى
والتقدم الاجتماعي

الفهـــــــرس

المقدمة 6

تعريفات ومفاهيم 10

التصوات الكبرى للتقدم الاجتماعي 13

الإنسان 20

الطبيعة 30

العلم 36

العمل 42

الآخرة 48

الوقت 54

الآخر القريب 58

الآخر البعيد 62

التقـدم والقيـم 66

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وآله وصحبه، وبعد.

يكثر الحديث حول التقدم الاجتماعي، ويبدو مصطلحاً براقاً، ومثيراً لشهية المهتمين بنهضة ورقي وتطور أوطانهم، إلا أن هذا الحديث يغدو إنشائياً محضاً، وينزلق في اتجاهات شتى، وما ذاك إلا لضعف التعريف والتوصيف الدقيق للتقدم الاجتماعي ومعطياته على الأرض، التي تسمح لنا بالنهوض، فكيف ننهض بغير تعريف دقيق، يسمح لنا على الأقل بقياس نجاحنا من عدمه؟

وفي هذا السياق نطرح السؤال: ما هو التقدم الاجتماعي ؟ وما أبرز معاييره؟

يمكن وصف التقدم الاجتماعي بأنه: حالة كلية تصف المجتمع من خلال عدد من المؤشرات التي يمكن عبرها قياس حركة المجتمع، وما إذا كانت تقدماً أم خلافه، ومن المؤشرات الدالة على ذلك مجموعة من المؤشرات الأولية تتضمن قدرة المجتمع على توفير الاحتياجات الإنسانية الأساسية كالغذاء، والعلاج، والماء، والمرافق الصحية، والسكن والأمان الفردي، يليها كذلك ما يتصل بتوفير أسس الرفاه كتوفير المعرفة، والوصول للمعلومات، والاتصالات، والصحة، وجودة المناخ، ومما يدخل

في هذا أيضا ما يتصل بمدى توافر الفرصة لإنسان المجتمع بالتمتع بالحقوق الفردية، والحريات كحرية الاختيار، ودرجة استيعابه في المجتمع، بما يكفل له حقوقاً من بينها الوصول للتعليم العالي، وقد تعارف الناس عليها بمؤشرات التقدم الاجتماعي.

ومن المهم هنا الالتفات لطاقة المجتمع للتقدم، وهي قدرة مرهونة بمدى إمكانية ضمان المجتمع للوجود الكلي لنظامه، والاستقرار له، ثم يلي ذلك الدخول لمرحلة التنمية، إلا أنه من المهم طرح السؤال:

ما الذي يكمن خلف الوجود والاستقرار والتنمية؟ ما الذي يجعل الأمم تتفاوت في درجة قدرتها على ضمان وجودها واستقرارها وازدهارها؟ هنا يظهر العمق الكامن خلف جبل الثلج، وتظهر مجموعة التصورات الكبرى التي تصنع التقدم والتخلف.

إن التصورات الكبرى منشأ القيم، وليست آحادها، فالتصورات الكبرى في علاقتها بأفراد وآحاد القيم أشبه بالحاضنة التي تنطلق منها سلاسل القيم، وتتفرع، فحين نقول أن النظرة للإنسان أحد التصورات الكبرى، فإنه ينشأ عن ذلك هيئة كيفية عامة تسمح بموضعة كل ما يسمى بحقوق الإنسان، والمصفوفة القيمية المتولدة عن تلك النظرة.

فالقول بأن الإنسان يولد مصحوباً بحقوق طبيعية لا يجوز

حرمانه منها تحت أي عنوان أو مسمى، ما هو إلا مقدمة تقود لنتائج كبرى تتعلق بكل شيء يخص الإنسان سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، ونفسياً، وعلمياً، ولو قارنا بين تلك النظرة مثلاً، ومنظور الطبقية في الهند أو نظام (الكاست) لو طبق في الدستور الهندي لحرم مئات الملايين من البشر من حق الإنسانية في حدها الأدنى، ناهيك عن حق المشاركة السياسية.

ها نحن نرى من المثالين السابقين أن المنظور في حد ذاته مفهوم أشمل من القيمة بكثير، وهذا موضوع هذا الكتيب ويدور حول التصورات الكبرى التي تحكم معادلة التقدم الاجتماعي.

وبعد ما ذكرناه آنفاً، يمكننا التساؤل بأريحية: ما هي التصورات الكبرى للقيم التي تجعلنا مجتمعاً فاعلاً، ونسير في مسار التقدم الأممي؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بد من التذكير بتعدد جوانب الحديث عن القيم، والأمر ذاته منطبق على التقدم، فليس المقصود به المعنى البسيط المتوارد للذهن مباشرة مما يتصل بالأبنية، والمشاريع، وازدهار مادي، بل هو بالإضافة لما سبق تقدم مفاهيمي، وقيمي، يمنح ما ذكرناه من قبل معنى، وقيمة، وجذورا تقويه، وتسنده.

فرسالة «الرحمة للعالمين» التي أقرها القرآن تعني القدرة على إدارة المقدرات بالصورة الأكفأ والأفضل والأمثل، الأمر

الذي يتطلب إعداداً مفاهيمياً وقيمياً خاصاً، يبدأ من الكرامة الإنسانية ولا ينتهي إلى أن تعم الرحمة العالمين.

والتقدم بهذا الاعتبار مسار يُخاض بالعلم، والعمل، والحرية والكرامة، إنه مسار ضخم، تتداخل فيه القيم وتتفاعل لتشكل روحاً وثقافةً جديدة تسري في كل مفاصل المجتمع، لتخرج أفضل ما عنده، ويزداد هذا الأمر إلحاحاً اليوم في ظل التحديات التي تواجهنا، فالأزمات التي تشهدها الأمم أضحت أكثر انكشافاً من قبل، ولم يعد هناك مجالاً للتباطؤ ومعالجة أوجه القصور للدخول في هذا المسار.

يقدم لنا علم الاجتماع واحداً من التصورات المهمة لدراسة المجتمعات من حيث قابليتها للتقدم باعتماد مناظير كبرى، عادة ما تغيب عن وعي صناع المجتمعات بسبب وفرة عالم الأشياء وسهولة اقتنائه، فمن السهولة شراء المصنع، وشراء المدرسة، وشراء السيارة، وسائر وسائل الحياة، ومع تملكها يتولد وهم الاكتفاء، فما دامت هذه الأشياء موجودة فالتقدم حاصل، ولكن لو توقفنا لثوان للتفكير في السؤال الأهم: مإذا لو امتنع الطرف الآخر عن بيع هذه الأشياء أو حتى صيانتها؟ مإذا نمتلك لو فقدنا القدرة على شرائها؟ عندها فقط نتساءل عن العمق الذي جعل الآخر منتجاً للفكر، والصناعة، ونتساءل عن العامل الذي أعجزنا عن الوصول للتقدم الحقيقي الذي يجعلنا

سادة مستقبلنا، وصناع الحاضر، والمستقبل.

والبحث في العلوم الاجتماعية وإجابتها على هذا السؤال جعلنا نرشح نظرية هامة في نظريات التوجيه القيمي وهي (Kluckhohn and strodtbecks values orientation theory)، وأساس النظرية يقوم على أن اتجاهات البشر السلوكية تعتمد على موجهات قيمية، والتي تتأسس بدورها على مجموعة تصورات كبرى حاكمة تندرج فيها تلك القيم، وتعطيها المضمون والسعة، فتغدو هذه التصورات المؤثر الأكبر على ما نشهده من تقدم أو تخلف في أي مجتمع، فالنظرة للإنسان، والنظرة للطبيعة، والنظرة للعلم، والنظرة للعمل، والنظرة للوقت، والنظرة للدين، والنظرة للآخر القريب والبعيد، هي ما يؤثر فعلياً على زوايا حياتنا باختلافها وتنوعها.

وقد قمنا في مركز الوجدان الحضاري بمواءمة النظرية لاحتياجاتنا المحلية في قطر، بحيث تشكل بعد معالجتها شيئاً متجانساً مع دين المجتمع وثقافته، ويسمح للمجتمع أن يرى ما هو أعمق من الأشكال الخارجية للتقدم على الرغم من أهمية تلك الأشكال.

د. جاسم سلطان

تعريفات ومفاهيم

يمكن القول بأن الاتفاق على التعريفات أحد أهم مشكلات العلوم الإنسانية، ذلك أنها تتعدد بحسب رؤية كل جهة، ولإزالة الغموض عن مرادنا بالمفردات الواردة في الكتاب، سنقوم بتعريفها بما يناسب غرض هذا الكتاب، وسنحاول أن نرى علاقاتها ببعض حين تتسلسل:

أولا: الأفكار

كل ما يدور في عقولنا، سواء كانت عارضة أو مستقرة، ولا تختفي الأفكار الواعية إلا إن توقف العقل عن العمل سواء كان توقفا كالنوم أو فقدان الوعي أو الموت، فالإنسان لا يعرف وعيه إلا من خلال الفكرة، وتشمل الأفكار أفكاراً عارضة كحديث الذات، وأخرى مستقرة كالأفكار الكبرى، والعقائد، وهناك المنظم كالذي في الشعور، وغير المنظم الكامن في اللاشعور.

ثانيا: المنظومات الكبرى الحاكمة

في عقل الإنسان تولد المنظومات الكبرى المكونة من أفكار لا حصر لها، ترتبط ببعضها عبر نسق فكري مفسر للوجود ومانح للإجابات، بحيث تشكل مصفاة أو عينا يطل عبرها على الأفكار المشتتة، ليعطيها قدراً من التماسك، والمعنى، فما يجعل الإسلام منظومة كبرى أو الليبرالية أو الشيوعية كونها أكبر من فكرة أو مجموعة أفكار لأنها تنظم فضاءات واسعة للإنسان، وتعطيه تفسيرات تربط المفاهيم ببعضها، وهي بدورها تقدم إجابات للأبعاد

الثمانية: الإنسان، العلم، العمل، الوقت، الطبيعة، الآخرة، الآخر القريب، الآخر البعيد.

ثالثا: التصورات الكبرى

هي تجيب عن سؤال مثل ما الذي يعنيه الإنسان في الوجود؟ وماذا يستحق بناء على ذلك؟ وماذا تعني الطبيعة؟ وماذا يعني العلم؟ وماذا يعني العمل؟ وماذا يعني الوقت؟ وماذا يعني الدين؟ وماذا تعني العلاقات الإنسانية بالقريب والبعيد؟ ومن بعدها ماذا يترتب نتيجة هذا الفهم في الحياة العملية؟

رابعا: المفاهيم

القوالب الذهنية التي نحملها، ونعبر بها، فتشير إلى كمالات الأشياء عند تجريدها من التباسات الواقع، فالعدل في الواقع مثلا له مئات الصور، ولكنه يملك قالباً تعبيرياً واحداً في الذهن، يشير إلى كماله، هذا القالب يختزل الواقع، وفي الوقت ذاته، يمثل ضرورة للتعبير والتفكير، ويطلق عليه المفهوم.

خامسا: القيم

نوع خاص من المفاهيم تأخذ طابعاً معيارياً، وتستدعى لإصدار أحكام، واتخاذ قرارات، فحين نقول هذا صواب، وهذا خطأ، أو هذا حلال أو هذا حرام، نحتاج إلى القيم لمعايرة الأحكام، لذا فإن سلوكياتنا نتاج اختياراتنا القيمية.

سادسا: المبادئ

عندما نتخذ قيمة معينة كمرتكز وتقدير واع، يتم الالتزام به، وعدم الميل عنه، وندخلها حيز الإجراءات بصرامة، ونضمن قياساً واضحاً له عبر هذه الإجراءات، نطلق عليها: المبدأ.

سابعا: السلوك

تصرفات الفرد الظاهرة حسنها وسيئها.

ثامنا: الخلق

السلوك المطرد للإنسان حسناً كان أو سيئاً.

تاسعا: الاجراءات

في هذا السياق الإجراءات تهيئ للانتقال من الصيغة العامة للقيمة أو الفكر نحو التجسد في الواقع، بحيث تغدو القيمة والالتزام بها أمرين قابلين للقياس بوجود هذه الإجراءات، فقيمة النظام تتجسد في تحويله لخطوات، ومظهر قابل للقياس، فما إجراءات السير في الشارع للمارة والسيارات؟ وما قواعد تخليص المعاملات في المؤسسات؟ وهل الالتزام بها دقيق؟ .. وبهذا تتجسد القيم إلى واقع.

التصورات الكبرى للتقدم الاجتماعي

سنتحدث عن التصورات الكبرى الحاضنة للقيم بشكل تفصيلي لاحقاً ولكن يلزمنا لغرض وظيفي، لتفعيل هذه التصورات بالتركيز على قيم بعينها، وماذا تعني لتقدم المجتمعات وتطورها. والجدول التالي يبين القيم المنتقاة

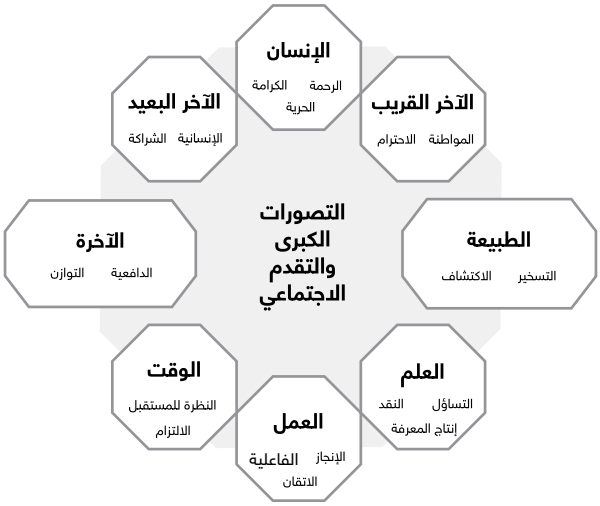

قضايا تتعلق بالقيم

القيم هي مجردات ذهنية ومثاليات نظرية مثل: العدل أو الحق أو الكرامة الوجودية للإنسان، وحين نبحث عنها في الواقع العملي نجدها عبارة عن وقائع كثيرة، وليست شيئاً متعيناً واحداً، فمثلاً: العدل في القضاء: عبارة عن كل الأحكام التي جرى الحكم فيها بنزاهة، والقيم بهذا الاعتبار تتعلق بمواضيع شتى وليست متعلقة بموضوع واحد أو حادثة، وهذا بدوره يقودنا لثلاثة مباحث أساسية نعرضها بايجاز لنستصحبها في رحلتنا في هذا الكتيب التعريفي.

1. سلم القيم	2. تمركز القيم	3. رحلة القيم

1. سلم القيم

يتناول هذا النموذج نقطتين أساسيتين عن القيم:

أولاً: حركة القيم على السلم صعوداً وهبوطاً، باعلاء المجتمع من شأن القيمة، أو خفضه هذه القيمة، وبناء عليه، تحضر القيمة وتحصل على دورها الفاعل، أو تفقده، ويجري إهمالها.

ثانياً: حركة القيم وتفاعلها، فالقيم ليست شيئاً ثابتاً، إنما هي منتجة لتفاعلات ترتبط بعوامل الثقافة والدين وغيرها؟

ولو أخذنا قيمة الكرامة وتعمقنا فيها، فقد يكون أساسها توفير الاحتياجات الآدمية لكل إنسان من ملبس ومأكل ومشرب، ثم قد تطور لتأخذ المعنى الحقوقي القانوني، فيصبح الناس سواسية أمام القانون، ثم بوعي متزايد وتفاعل مجتمعي حضاري تصبح الكرامة مقياس مجتمعي، له حساسية عالية في ضمير الأفراد ووجدانهم، بحيث يغدو كل إنسان ذا قيمة بمجرد إنسانيته، ويصان حقه، فيما يؤدي واجبه بكفاءة، ويحوز التقييم المستحق له بدون غبن، حينها يكون المجتمع قد تمثلها، ومارسها، وأدخلها في مفرداته الثقافية وتصرفاته، حتى يصبح أي تجاوز سلوكي متعلق بالكرامة مدان ومستهجن سرعان ما يتم نبذه ومحاربته، بخلاف ذلك، فإن أي خفض من قيمة الكرامة الإنسانية، سيؤدي لتجاهلها، وتراكم المظالم وعدم المساواة، وعدم حصول الأفراد على حقوقهم، ومع فقدان الإنسان لقيمته، وهدر كرامته وحقوقه، لا يعود هناك أي ممارسة تحميه، وتصون حقه، بل على العكس تتعاون المفردات الثقافية والممارسات اليومية لتكريس خفض القيمة.

يتضح بهذا النموذج أن المجتمعات على اختلافها تمنح درجات معينة من الأهمية للقيم، تختلف باختلاف ثقافاتها وتطورها الحضاري، وهذا الترتيب ما هو إلا محصلة نهائية لتفاعلات ثقافية متنوعة ومتعددة، يدخل فيها الدين،

والأفكار الحاكمة، وتجارب التاريخ، فعلوّ أو انخفاض قيمة ما في مجتمع ما قضية مركبة ومعقدة، فلدينا مجتمعات تعلي من قيم كالإنسان، فتجعله شريكاً في القرار صانعاً له، وأخرى يبدو الاعتراف فيها بقيمة الإنسان الذاتية أمراً معقداً، وصعباً، لأنها تعلي من قيمة الأعراق، بل قد تحدد مجتمعات مكانة الفرد بالفئة التي ينتسب إليها بميلاده، فلا يغادرها مهما استفاد من فرص الحراك الاجتماعي.

ولدينا مجتمعات تقدس العلم وتحاكم بالعقل، وتحتكم للمنطق، وأخرى تعتقد أن الإجابات جاهزة، تحتاج استدعاءها فقط، والوقت، والعمل، وتقدمها على ما سواها، وبينما توجد مجتمعات تمجد الغزو كمجتمعات البادية القديمة، نجد مجتمعات مجدت الزراعة كالصين قبل الثورة، لتنتقل لتعظيم العمل اليدوي بعدها بسبب قرارات وخطط سياسية معينة، بينما لا تزال هناك مجتمعات ترى العمل اليدوي مهانة، كل الأمر يرجع لناتج التفاعلات للمتغيرات الثقافية والاجتماعية المختلفة، والتي بها يحدد المجتمع ترتيب القيم داخله، ويتصور العالم والوجود وموقع أفراده فيه بناءً على ذلك.

لقد كشفت تجارب الإنسانية أن مجتمعات عديدة حققت نجاحات مذهلة في فترات زمنية قياسية مثل: اليابان، وكوريا، وسنغافورة، مما يفتح الأفق لآمال أوسع لتسريع التحولات القيمية الضرورية لإنتاج مجتمعات قابلة للتقدم، في قيم التخطيط والتوجيه لمحاضن التنشئة والإعلام وإعادة هيكلة القوانين، وتنظيم الإجراءات.

2. تمركز القيم

يعتبر التمركز وإعادة التمركز بحسب المواقف المختلفة من أهم خصائص القيم، وقد يبدو الأمر غريباً للوهلة الأولى، ولكن لننظر مثلا إلى الموقف من المال فصاحب المتجر، يبيع ويشتري، واضعاً الربح كقيمة مركزية، وبالتالي يفاصل على الدرهم والدرهمين، لأن الدرهم بمجموع أمثاله يحسم مصير المشروع بالاستمرار والتوقف، ولكن الشخص نفسه في موقف آخر مختلف، يغدو العطاء قيمته المركزية، فيتبرع مسروراً بآلاف الدراهم، وهكذا فكل عمل له قيمة أو قيم مركزية تشكل جوهره، فالبنك قيمته الأولى حفظ المال لصاحبه، ولو توفرت كل القيم، وافتقد هذه الخاصية، لم يعد بنكاً، والعمل التجاري تقع في قلبه قيمة الربح والمصداقية في توفير السلعة أو الخدمة، ولو فقدهما، لم تقم للعمل قائمة، والمدرس تكمن قيمته في العلم، ولو فقده لم يعد مدرساً، والمربي تكمن قيمته في حسن الخلق، وتقديم القدوة، والعلم بنفسية المتربين، ولو فقدها فلن يقوم بدوره.

ومن هنا تبرز ظاهرة تزاحم القيم، فالإنسان، ليست معضلته في حركة القيم، ولكن في أحيان كثيرة يقف عاجزا، أمام مواقف مثل: الاعتذار عن تأخره عن العمل، مثلا فهل يصدق بأنه فضل النوم، وتلك هي الحقيقة، أو أن يعتذر بزحمة الطريق، وهي الكذبة التي قد يدعي أنها بيضاء، حينها يقوم الإنسان بحسبة معقدة، فهل يحرس قيمة الصدق، أم يحمي سمعته بكذبة يلونها بالأبيض، وتزاحم القيم، ومن هنا تبرز أهمية مباحث فلسفية معقدة مثل: لماذا نلتزم بالقيم؟ وتظهر مدارس متعددة في الإجابة على مثل هذا السؤال كنظرية الواجب عند كانت أو الدين كما توجه الأديان أتباعها أخلاقياً، أو المنفعة العامة أو المنفعة الفردية، ولكل قوم حججهم، وبناؤهم الاستدلالي، ويمكن النظر في كل ذلك في مظانه من كتب فلسفة الأخلاق، وهي كثيرة، ولكن هذا القدر كاف في هذا السياق.

3. رحلة القيم

إن القيم مهمة عند كل الأمم، وكل أمة تدعي إيمانها بالقيم الأساسية: كالعدل، والمساواة، والكرامة الإنسانية، والعلم، والعمل، والوقت، ولكن بلورة القيم إلى واقع متجسد يتفاوت تفاوتاً شاسعاً بين أمم قطعت شوطاً واسعاً في التطبيقات القيمية، وبين أمم لا زالت تتحدث عن القيم في معرض التباهي أو الرسميات، وهذا يقودنا إلى موضوع رحلة القيم من الوجود النظري إلى التبلور العملي من خلال دراسة المسارات التي قطعتها القيم في المجتمعات التي تحصلت على أكبر رصيد من التجسد القيمي مقارنة بغيرها، والأمم التي استعارت المسار بنجاح، ما الذي أهّلها لمثل هذا الاقتباس الناجح؟

إن القيم هي بنت التصور عن العالم، فالأديان والنظريات الكبرى تبني صوراً كلية تفسيرية للوجود، والموجودات، والعلاقات بينها، ومن هذه الصور الكبرى، تكتسب القيم مراكزها المختلفة، وتتفاوت أهميتها.

١- مرحلة القيم الجنينية: مرحلة توجد فيها مسميات القيم إما كوجود مساوٍ لوجود الإنسان وحديثه عن الصدق، أو الكرم، أو المروءة، أو كممارسات فردية متناثرة، تصبح مضرب مثل، ولكنها لا تتمتع بأي حضور منتظم على مساحة الوعي والتقنين، وربما يتم تناولها في سجالات التمدح والتفاضل: كالكرم، والشجاعة، أو حتى المنابزة مع الآخرين، ليس باعتبار الحضور المتجسد، إنما باستدعاء نصوص تبين ذكر القيمة لا تطبيقها، وغالباً ما تحتوي على قدر كبير من المغالطة المنطقية، فيعتبر الوجود اللفظي مساوياً للحضور التطبيقي، رغم وضوح الفارق بين المساحتين.

٢- القيم المحررة فلسفياً: هذا مستوى متقدم، يتعلق بنمو ثقافة المجتمع بحيث يتم التساؤل عن معنى القيمة، ومضمونها، ومبررات الالتزام بها، ودرجة أهميتها، وخطورة إهمالها، وعلاقتها بغيرها من القيم، وسياقات إنتاجها في

المجتمع، وسياقات التأكد والتوثق من حضورها، واختبار حضورها في الواقع.

٣- القيم المتبناة: هنا تظهر مرحلة متقدمة، يحدد فيها المجتمع بوعي مجموعة القيم التي ستحدد هويته، ومصيره، ويعمل على نشرها كثقافة اجتماعية، تبدأ من الأسرة، والمدرسة، ودار العبادة، والإعلام، والفنون.

٤- تحول القيم لمبادئ: وهذا يعني التزام المجتمع بمجموعة من القيم بصورة مقولات معلنة، وصريحة، ويقبل أن يحاسب على أساسها، وأن يقيّم، ويجري المعايرة -أي القياس والموازنة للوقائع- بها.

٥- التحول الإجرائي: وهذه المرحلة تتضمن تحول المبدأ فيها لإجراءات واضحة، يمكن رصدها من الخارج، فالعدل، والنظام، والوقت، والجودة في هذه المرحلة، ليست مجرد أقوال بل أشياء حية ترصد بموضوعية من خارج النظام القائم، ويمكن فحص وقياس درجة تطبيقه، يلحظها الإنسان في البيت، والشارع، والمؤسسة، والمعاملة.

٦- القيم المحمية: لا تكتمل رحلة القيم إلا بالسهر على حمايتها من الاختراق، ومن هنا تكتسب مصداقيتها، والثقة في نجاعتها من درجة الالتزام بها، فاختراق واحد للقيم على مستوى الإجراءات، يهدد بفقدان الثقة في كل الإجراءات، وتصبح العملية شكلية بحتة، وهنا قد يتفنن الناس في تجاوزها، مع المحافظة على الصورة الإجرائية الورقية، ويصبح المجتمع حاملاً لمرض التخلف بشكل أعمق مما لو غابت عنه القيم، فالشكل السليم والعمق المدمر يعطي إحساساً خادعاً بالكمال، ويتعطل الوعي والإدراك بالمشاكل وخطورتها.

التصورات: عبارة عن أفكار منظمة يربطها خيط حاكم تفسر الوجود والطموحات وتوجه مسارات السياسة والاقتصاد والاجتماع، ومثالها: الإسلام والشيوعية والليبرالية والأديان بشكل عام عندما يكون لها توجه لمعالجة قضايا الحياة. فكلها تفرض على الإنسان أن يرى العالم من خلالها. وهي ما يولد الألوان المختلفة للنظر للتصورات الكبرى الثمانية (الإنسان، العلم، العمل، الوقت، الطبيعة، الأخرة، الأخر البعيد، والأخر القريب)

↓

القيم: هي مفاهيم ذات طابع معياري توجه سلوكيات الإنسان الخارجية وهي بذلك تتصف بفكرة "المعيارية"، فحين نقول "إن القاضي عدل في حكمه" نقصد أنه التزم بمعيار "العدالة" المتوافق عليه.

↓

المبادئ: هي تقديرات واعية لشيء قد تم العزم على الالتزام به، كسلوك دائم يراعى في كل الأحوال. ويكمن أن يعاير في الخارج عبر الإجراءات التي تمثله. فمبدأ "الحرية" سينعكس على الاعلام والصحافة والتعبير والاختيارات وسيعزز بكل الطرق من البيت للمدرسة إلى سائر أوجه الحياة.

↓

الميول: شيء أكره نفسي على فعله ، أو شيء استمتع بفعله

↓

التصورات: هو تصرفات الانسان عموماً حسنها وسيئها.

التصورات الكبرى والمناظير

لئن كانت المناظير الكبرى مسطرة كونية شاملة يمكن معايرة وقياس أي مجتمع إنساني بها لمعرفة مدى فرصته في التقدم كمجتمع، والدخول في المنافسة العالمية، فما مدلولات هذه التصورات الكبرى في بيئتنا الإسلامية، وما عمق جذورها في تربتنا؟ لو وعينا أهميتها؟ هذا ما سنتناوله في رحلة بحث هذه المناظير الثمانية ومحاولة قراءتها، والمجتمعات البشرية تتشكل فيها تصورات مختلفة عن الإنسان، والطبيعة، والعلم، والعمل، والوقت، والدين، والعلاقة بين أبناء الوطن الواحد، والعلاقة بالأمم الأخرى، وبهذا تتحدد مصائرها، ووضعيتها بين الأمم.

يمكن لأي مجتمع أن يشتري منتجات الحداثة كالمباني، والشوارع، والمصانع، والحواسيب، ما دام يمتلك ثروة ناضبة تدر المال عليه: كالبترول، أو الغاز، أو الموقع، ولكن ديمومة الحال لا تتأتى، إلا بتحويل المجتمع من حالة الاستهلاك للإنتاج من الحالة السالبة إلى الحالة الموجبة، وهذا يعني إحداث تحول اجتماعي، مفاهيمي، وتصوري مكافئ لعملية التطور المطلوبة.

إننا حين ننظر إلى مظاهر السطح في أي مجتمع نلاحظ درجة التحضر، والسلوك العام، كاحترام الإنسان، واحترام الطبيعة، وعقلانية المجتمع، ومستواه في البحث العلمي، وفاعلية التوجيه الديني، ودرجة الترابط في البنية الاجتماعية للنسيج الوطني، والقدرة على التعامل مع الأمم الأخرى، وهذه المؤشرات، إما أن تكون موجبة، أو سالبة، فقد نرى التقدم السلوكي، والصناعي، والزراعي، وجودة العمل، والسلوك الراقي من إفراد المجتمع، وقد نرى الفقر، والجهل، والمرض، والحروب، ولكن كل ذلك جزء من مظاهر السطح، لكن في العمق توجد الأرضية التصورية وشبكة القيم والمفاهيم المغذية لكل ذلك، فوراء السلوك الظاهر في أي مجتمع، تقف الأفكار

المؤسسة، وفي هذا السياق سنحاول استكشاف تلك البنى المؤسسة لتطور أي مجتمع.

التصورات الكبرى: ثمان تصورات تعطينا مشهداً بانورامياً للمجتمع، كيف يبدو وإلى أين يتجه، ما قدرته على العطاء والإنتاجية؟ ما قدرته على سد احتياجاته؟ هل يمكن التعويل عليه في الأزمات ؟ هل يقدم نموذجاً يقترب من روح القرآن ورسالته، هل فلسفته في الحياة منفتحة على الآخر أم لا ؟ إنها مقياس ومؤشر لحيوية هذا المجتمع وتطلعاته.

الإنسان محور التقدم، ومحرك التنمية الأول، لذا فإن بعث المجتمعات واستقرارها ونموها مرهون بحضوره كفاعل في هذه الأرض، ولذلك أعطاه الخالق جل وعلا مكانته المرموقة في الوجود، منذ قصة الخلق الأولى، فالاستخلاف في الأرض (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) كان أساس هذه الفاعلية، ومن الجلي أن مهمة الخلافة تقتضي استعدادات معينة من الإنسان، فاستشكلت الملائكة عن طبيعةٍ ستلازم الخليفة المرشح لإعمار الأرض، وهي الإفساد وسفك الدماء، يقول تعالى حاكياً ذلك الاستشكال: (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)، لكن الخالق جلت قدرته بين للملأ الأعلى أن الإنسان كائن متعلم، قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا)، فتقابلت في لحظة خلق الإنسان إمكانية الشر، وقابلية التعلم من الأخطاء، ومن هنا تم الإعلان عن مكانته بين سائر المخلوقات، وأمروا بالسجود له في الملأ الأعلى، قال تعالى: (اسْجُدُوا لِآدَمَ)، فكانت لحظة فاصلة في الوجود لمخلوق سمته الأساسية: القابلية للتعلم، والانفتاح على المعرفة، فهي سر تكليفه.

وأثبتت التجربة التاريخية الإنسانية الطويلة التي مرت بها البشرية أن ثمة طريقين للتعلم: الأول عبر الصراعات والحروب والدماء، والثاني عبر التعلم والاعتبار من تجارب الآخرين، لذا فإن التجربة البشرية حافلة بالكثير من

المشاهدات والممارسات التي شكلت عصرنا اليوم.

ورغم ما وصلت إليه البشرية اليوم من قيم ومبادئ كبرى إلا أن التحديات ما زالت كبيرة، وتتمثل إحدى تلك التحديات في الفجوة بين النص الشرعي والقانوني، وبين المعاش على الواقع، ويسهل الادعاء بالالتزام بالنص والقانون، إلا أن البرهان هو الالتزام بهما، أما تغييب الممارسات الحقيقية بالوعظ، فهو ليس علاجاً ناجعاً، فهي أزمة تحتاج الاعتراف بها، فبغير ممارسات فاعلة عامة لن تحل النصوص المشكلة.

لذا فإن الحل يكمن في تبني منظومة جديدة تعطي العقل وعياً مغايراً في التعامل مع هذه النصوص باعتبارها منطلقات لتشكيل الوعي، وباعتبار القيم وتطبيقاتها هي تحدٍ ممتد ورحلة مسارُها كما ذكرنا يكون بالتعلم والاعتبار من التجارب المجتمعية المختلفة، وبتدارك الأخطاء والاعتراف بها لا إنكارها والتستر عليها، لأن مردودها وإن خفي وتأخر يكون مدمراً على حياة الشعوب والمجتمعات ينخرها شيئاً فشيئاً حتى تنهار.

عند الحديث عن الإنسان ذلك الذي حمل الأمانة على عاتقه ليكون في مقدمة المخلوقات وبتسخير الكون الواسع له، كيف سيحقق تلك الأمانة ويحافظ عليها إن لم يكن ذلك يعني أنه إنسان بكرامته وحريته ورحمته على سائر الخلق .

هكذا سارت البشرية حبواً في سلم التعلم بين إخفاقات كبرى، وحروب، وفساد، وبين عمليات إعمار، وبناء، وما زالت رحلة الإنسان طويلة، ومع كل تقدم يحرزه تتبدى له تحديات جديدة، وتواجهه أسئلة جديدة، قال تعالى: (وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إِلّا قَليلًا)، بينما هو في طلب التعلم مجد، قال

تعالى: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا).

هذه المكانة السامية للإنسان أهّلته ليكون الكون مسخراً له، وطوع ملكاته، قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض)، ولكن المجتمعات البشرية في وعيها بالإنسان وكينونته تخضع لشروط ثقافية مختلفة، بحسب تشكل كياناتها واختلاف تصوراتها، وتبرز عملية التباين بين عدد من الأشياء:

- مكانته الوجودية السامية كما أرادها الله، ودرجة حضور تلك المكانة في حياة مجتمع بعينه حيث تلعب عوامل فساد التصورات لصناعة الفوارق بين البشر في المجتمع الواحد، فتظهر العنصريات، والجهويات، والتفسير الخاطئ للأديان، والمصالح، والطبقيات لتوسع الفجوة بين مبدأ الإنسانية الكونية، الذي يعبر عنه قوله تعالى: (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)، وبين التصورات المهينة للإنسان في الواقع المعاش، وبين التصورات السامية التي أرادها الله له.

- المقولات الكبرى عن حقوق الإنسان الكونية، كما هي مسطرة في المنظمات الكونية كالأمم المتحدة، وما يحدث للإنسان في كل مكان من العالم ومن حروب، وقهر، وظلم، وتدمير، وتهجير، واستغلال.

- احتكار تلك الحقوق السامية لمجتمعات بعينها، وإخضاع أمم أخرى لمسطرة مغايرة تسمح بامتهانها كما في ظواهر الاحتلال والاستغلال.

تدني النظرة لقيمة الإنسان من حيث كونه ''إنسان'' في أي مجتمع بشري تحت أي ذريعة مؤذن بفساد العمران، وفقدان الاستقرار، والزوال، ولو بعد حين، ومن هنا تبرز قضايا الوعي بمفاهيم الكرامة، والحرية، والرحمة كقيم تأسيسية كبرى في حياة المجتمعات.

الكرامة:

إن خلق الإنسان معجزة إلهية لم تكرس وجوده المادي بل كيانه المعنوي المستحق للتكريم، والكرامة حق ملازم للإنسان، وهبة من خالقه، يقول عز وجل: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) بغض النظر عن لونه، وعرقه، وجنسه، ودينه، فما دام إنسانا فهو أهل ليعامل وفق مفهوم الكرامة، وبمسطرتها القيمية، والبشرية مرت بمراحل طويلة من التجارب، وارتقت طورا بعد طور لتقرير ذلك المبدأ، وتقنينه كونيا، ولكن تطبيقاته الكونية لا زالت دون ذلك المطلب الكوني.

إنها معركة كبرى خاضها الإنسان عبر العصور فالإنسان مولع بالتمايز، وإعطاء ذاته حقوقاً لا يرى استحقاق الآخرين لها، فهو يستعلي بذاته على نظرائه، ويستعلي بنسبه، وبعرقه، وبماله، وبقوته، وقد بلغت التجارب البشرية مداها في ادعاء الأفضلية ودفعت كثيرا من الدماء والأرواح حتى وصلت لعدم جدوى كل الدعاوى التي تقوم على امتهان الإنسان والتقليل من آدميته على حساب إنسان آخر، لقد انحاز الإنسان الذي يختار هذا التفكير لخيار إبليس الذي عبّر القرآن عنه مديناً له: (أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)، من العجب أن ينحاز الإنسان لخيار خصمه القديم.

إن كان لذي عقل وقلب لو تفكر برهة لعرف أن الله خلقنا وقدر لنا كثيرا من الأمور التي لا حول لنا ولا قوة فيها، ولذلك رسم لنا مسطرة واحدة ننطلق منها، ومن هنا جاءت الرسالات السماوية والدعوات الأرضية الراشدة لتذكرنا في ندائها الخاتم:(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) و (الناس سواسية كأسنان المشط).

الحرية:

الحرية هي المحك الحقيقي لكينونة الإنسان فالله شاءه مخلوقاً حراً على خلاف الملائكة المجبولين على الطاعة (لَّا يَعْصُوْنَ اللهَ مَآ اَمَرَهُمْ)، وعلى خلاف النبات والجماد وسائر الموجودات، فالإنسان بهذا يمتلك قدراً زائداً من الحرية جعله أهلاً لتنزل رسالات السماء.

بناءً على ذلك، يتضح في الذهن معنى هام هو قابلية الإنسان للتغير في أعمق نقطة في كيانه ألا وهي معتقداته التي عاش عليها، إنه قادر على تجاوز تلك الطبعة العميقة التي تربى عليها، ويمكنه التغير بسبب ملكة العقل على التغير من حال إلى حال، ومن دين الى دين إذا اتضح له الحق، واستبان، كما أنه مزود بالإرادة التي تسمح له باتخاذ قرارات كبرى في مسيرة حياته، إضافة إلى تنفيذ تلك القرارات.

إن هذا الأمر متصل بالضرورة بالكرامة، ويتلوها في المعنى والقيمة، وقد أقره القرآن الكريم في أكثر القضايا حساسية قائلا: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، ومنح المخالف حق المحاجة العقلية، وكرس هذا المبدأ (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ).

إن مصادرة حرية الإنسان عين مصادرة وجوده كإنسان، وخير ما يقدم للإنسان في أي عصر فسح المجال لقدرة التعقل والتفكير المنظم، ومن هنا خاطبته رسالة السماء بالتعقل والتفكر والتدبر لأنها مجاديف إبحاره في بحار الحياة، فمن الخطأ تربية أجيال كاملة على قيم وتراث لا لشيء إلا للحفاظ على ما كان، أو للخوف من الحوار، وذلك بغير محاكمة عاقلة متزنة قيمية دينية سديدة، وإيمان أي مجتمع بحرية الأفراد يقود لأمرين جليلين هما:

الأول: تدريب الإنسان منذ نشأته على التفكر، والتعقل، والتدبر، فيكون ذلك هدف شتى منصات التنشئة بيتاً، ومدرسةً، وجامعاً، وإعلاماً.

الثاني: منحه مساحة من حق الاختيار، والرهان على قدرته على التعلم الذي أشارت له آيات بداية الخلق، بما يكون مؤشراً لاتجاه تنشئته، وإفساح المجال له في حركة الحياة، فعطاء الإنسان مرهون بالقدر الممنوح من الحرية له.

ومن هنا فالمجتمعات تتفاوت فرصها بالتقدم بقدر إيمانها وثقتها في إنسان المجتمع الذي يمثلها، ويحمل مشعل قيمها، ويسير به قدماً متزناً واعياً.

الرحمة:

الرحمة هي العلاقة والبساط والمهمة، فالرحمة هي القيمة التي وصف الخالق جلت قدرته عن نفسه بها، ابتداء: (بسم الله الرحمن الرحيم) إنه الإله المعتني بالوجود رحمةً وإحساناً، ودعاؤه باسمه ''الله''، أو ''الرحمن'' (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ)، إذا الرحمة هي أم العلاقة بين الخالق والوجود، إنها البساط الممتد بين الموجودات، وأسماها الإنسان، وعليها أرسل المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكان عنوان المهمة: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)، فأصبح معيار سلامة الرسالة بسطها للرحمة للعالمين، فهل انعكس هذا الفهم سلاماً ورحمةً بيننا، ودفعاً للظلم عن المظلومين، وتساميا يصنع مجتمعات تسودها معاني الرحمة، والتكافل من كل الوجوه.

من المقدمات للنتائج:

مستوى الفرد:

إذا كان ذلك صواباً في أعماق الإنسان، وصواباً في مقررات الوحي، فما هي تمظهرات الكرامة والحرية والرحمة التي تشهد بصدق أي مجتمع في دعواه؟ إن العقل الإنساني –للمفارقة– يتجه باستمرار إلى الغير سواء كان هذا الغير: الدولة والقوانين أو أفراد المجتمع الآخرين، ولكن أول أبعاد التحول المفاهيمي ما يتم في عقل الأفراد، فملاحظة سلوكياتنا الفردية أول محطات الوعي، وأول المسؤوليات، وبذا لا يعود الكلام النظري غامضاً لأننا ننظر إليه في سياق الأفعال، فكيف يتعامل الأزواج في البيت؟ وكيف يحترمون هذه القيم؟ وكيف يتعاملون مع الأبناء؟ وكيف تتعامل الأسرة مع العاملين في البيت إن وجدوا؟ فالعاملة في البيت، والسائق، والأجير بشكل عام، كيف ننظر للنظام، وحقوق المارة، وحقوق الآخرين، وكيف نتعامل مع النظم في المجتمع، كل ذلك يفوت الإنسان في أحيان كثيرة، بينما هو المرآة الحقيقة لنظرتنا للإنسان كإنسان.

مستوى القوانين والنظم:

- كل إنسان له كرامة وجودية مستحقة متساوية فلا تمس بمهانة ولا ازدراء.
- حق الحياة الكريمة من مأكل وملبس ومسكن.
- حق الشعور بالأمان فلا يروع أو يخوف.
- المساواة أمام القانون.
- حرية الاعتقاد والعبادة.
- حرية الحوار والتعبير.

- حرية الاختيار
- التعاطف المادي والمعنوي هو أساس الرحمة
- دور الإنسان في الرحمة يشمل كل الموجودات.

ذلك هو التصور الأول الذي بصلاحه تتقدم الأمم وبفساده تنتشر المظالم ويسود الاضطراب بين المثال والواقع، ولنطرح سؤالين يكشفان عن الفجوة المفاهيمية ودرجة الصدقية في التمسك بقيمة الإنسان في أي مكان، وزمان، والإجابة ليست بالأمر الصعب، فالبشر يطالبون في أي مجتمع بأمرين متلازمين، الأول: المعاملة بحسن الخلق، والثاني: التحاكم لقانون عادل، إنهما المقياسان الحقيقيان لاستحقاقنا كبشر في الاحتفاظ بمعتقداتنا، وممارسة شعائرنا، والتعبير عن آرائنا وتصوراتنا، وحصولنا على حقوقنا غير منقوصة في السكن، والعيش الكريم، وصون كرامتنا في التعليم، والصحة، والخدمات، وعدم التعرض للسلوكيات العنصرية، والممارسات التي تحط من كرامتنا المتسأوية كبشر تحت أي مسمى، والحصول على المواساة، والرحمة كسائر البشر عند المعاناة، فلا يصح بأي حال النظر إلينا بتمييز عند مطالبتنا بأي حق مما ذكر في أي مكان وبقعة في العالم نحل بها.

فالسؤال الأول: هل نؤمن بأن إعطاء ذات الحقوق للغير في بيئاتنا مطلب عادل، أم أن عندنا معيارين الأول: لنا، والثاني: لبقية الخلق؟

والسؤال الثاني: هل تنمية حس الرحمة بالحيوان والنبات والجماد وبالبيئة بعمومها هو جزء من التنشئة الدقيقة المقصودة لا الموعظة العارضة المقدمة في مؤسسات: البيت، والمدرسة، والمسجد، ودور العبادة، وهل توجد معايير لقياس جودة تلك المساحة المهمة من الرحمة بالوجود، يحتكم إليها المجتمع، ويعرف موقعه من دائرة الاستخلاف التي قوامها العدل والرحمة؟.

الأسئلة الكاشفة لتصور الإنسان

الأسئلة الكاشفة لقيم التصور الإنساني كثيرة ، ومن الأهمية بمكان استعراض جزء منها، وليس المهم المثال بعينه بل إحياء الحساسية اتّجاه الإنسان وكرامته لأن الأمثلة تتعدد ولا تنتهي، وهي بطبيعة الحال تختلف من مجتمع لآخر، والهدف من استعراض الأمثلة هو أن تتشكل لكل واحد منا سواء فرد أو مؤسسة أمثلته الخاصة التي يتعرض لها أو يراها ماثلة أمامه، فالوعي بها هو أول طرق التفاعل معها بصورة حضارية ، والوجدان هو الحاكم بين الإنسان وذاته دون أي سلطة قاهرة عليه.

إن من أبرز الأسئلة الكاشفة للقيمة الإنسانية ما يلي:

– لأي درجة نعتقد أن حقوقنا في أي مكان في العالم قابلة لمنحها للآخرين بمبدأ المساواة؟

– ما مستوى إدراكنا باستحقاق الخدم والعمالة لحقوقهم؟ هل نشعر بأنها حقوق أم هبات خاضعة لهوى ومزاج صاحب العمل؟

– كيف ننظر لبعض المهن داخل المجتمع وللعاملين فيها؟ وكيف ننقل لأبنائنا تصورنا عنها وعن العاملين فيها؟ هل نميز بين حقوقهم الآدمية وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية المختلفة عنا؟

– ما ردة فعلنا تجاه بعض المشاكل في البيئات التعليمية التي ينقلها لنا أبناؤنا حول تعرض أحد زملائهم للتنمر لأنه شخص مختلف لوناً أو لديه مشكلة صحية معينة ؟

– ما تقييمنا ونظرتنا للوافد لمجتمعنا للعمل فيه؟ هل نراه عالة ليس من

حقه الاعتراض أو الشكوى، أو المطالبة بحقوقه؟ هل نميز بين بشريته وآدميته ووجوده بيننا؟ هل نتذكر غربته وتعبه ومشاكله ومعاناته؟

– لأي درجة نقدر أوقات الناس واحتياجاتهم لإنجاز معاملاتهم؟ هل نلزمهم بالبيروقراطية وأنماطها بغض النظر عن متاعبهم واستنزاف وقتهم وجهدهم؟

– لأي درجة نكرس في أبنائنا إحساس الكرامة الذاتية التي يمتلكونها، فنتعامل معهم باحترام وعقل وحكمة، أم نكسر إرادتهم بفائض السلطة كآباء وأمهات بحجة التربية والخوف عليهم؟

– لأي مستوى نربي أبناءنا على أصالة الاختلاف الكوني؟ أم أننا نختار إخبارهم بنقصان كرامة المختلفين عنهم؟

– لأي درجة ننشر التراحم بين بني البشر فنواسي المحزون وننصر المظلوم ونعتبر حسن الخلق حقاً لنا ولغيرنا في كل الأحوال ؟

– لماذا نتعامل مع الحيوانات والأشجار بعنف واستهتار، رغم كونها كائنات مشمولة بالرحمة؟ ولأي درجة تأخذ الثقافة المجتمعية في التعامل معها اتجاها يوافق الدين والمنطق العقلي السوي؟

يوضح الجدول التالي تصور الإنسان وقيمه بحيث يستطيع كل فرد أو مؤسسة قياس مدى وعيها بها، وهو جدول يمكن تحويله لدليل عملي يتبع سياسات العمل والانجاز بحسب الحاجة والقدرة، فمع عدم وجود المعايير والرقابة تتحول القيم من قيم فعل الى قيم مدح، وتفقد مصداقيتها.وتفقد مصداقيتها.

التصور	القيمة	أبعاد القيمة	المبادئ الأساسية
تصور الإنسان من حيث استحقاقات كرامته الوجودية	الحرية	حرية العبادة والمعتقد	(أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ) وعلى هذا اتفق العقلاء بتأكيد حرية الاعتقاد والتعبد كميثاق بين البشر.
		حرية الرأي والتعبير	(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) وهكذا توافق العقلاء أن حرية الرأي مكفولة للجميع وأن الحكم هو الدليل والبرهان.
		حرية السياسة	(وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) ومن هنا تواطأ العالم على حق الانتخاب والمشاركة في القرارات.
		حرية التملك	(لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) ومن هنا قامت الشرائع لحفظ الحقوق
		حرية العمل	فحرمت الشرائع استغلال البشر وغمطهم حقوقهم.
	الكرامة الإنسانية	المساواة بين البشر	(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)، ومن هنا ساوت القوانين العادلة بين البشر من حيث حقوقهم، ووحدت القوانين الأساسية لحفظ حقوق الجميع.
		الاحترام الإنساني	احترام التنوع الثقافي، واحترام جميع فئات المجتمع.
		جودة الخدمات الأساسية	التأكيد على أهمية السكن، والتعليم، والصحة، والطعام، والهواء، والبيئة للجميع.
	الرحمة	الرحمة الإنسانية	التعاطف مع الإنسان وتقديم العون وإشاعة الأمن والسلام للجميع

إن سباق البشرية الأكبر في شؤون الدنيا ملخص في قدرة الإنسان على التسخير: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)، وامتلاك ناصية المسخرات ابن تصورٍ مبدئي عن طبيعة السباق الكوني في اكتشاف أسرار الكون من حولنا، وعلومنا إلى اليوم على عظمتها، ''حبة رمل على شواطئ هذا العالم''، كما يقول آينشتاين، ومع ذلك، فالأمم التي تمكنت من هذه الحبة سادت، وتفوقت على نظيراتها، وما زال العالم يفتتح في كل يوم معرفةً جديدة.

الماء، والهواء، والتراب، والطاقة، والأرض، والسماء ليست إلا كنوز تنتظر من يتحصل على مفاتيحها، وما الاختراعات المذهلة التي شكلت عصرنا إلا بداية طريق يتقدم بتسارع عند الأمم المنفتحة على الكون، فأين نحن من هذا السباق؟

من الصعب بناء تصور عن الكون يجعل أبناءنا يرون عظمة الوجود، ويدهشون من تركيبه، ويتصلون به باعتباره كنزاً كبيراً مذهلاً يمكن فتح آفاقه، ولا تنقضي عجائبه، وإعادة حب الشغف لهم بالبحث والنظر في مسرح الكون المحيط، عندها لا تكون النبتة مجرد شيء نسقيه، ولا النملة، والبعوضة حشرة نتأفف منها، ولا الماء لرشفة من ظمأ، ولا الهواء مجرد ضمان

للحياة، ولا السماء مجرد سقف فوقنا، ولكن يتحول العالم إلى أسئلة كبرى تحيط بنا، وكتاب للتعلم، والاختراع، والاكتشاف.

إن التعليم الذي لا يغير العلاقة بالطبيعة عاجز عن أن يكون أساساً للتقدم في أي مجتمع، لأنه سيكون حينها فاقداً للصلة بالطبيعة والعالم أصلاً، لأن العلاقة الصحيحة بالكون المسخر والمبنية على الكشف والتسخير هي جسر التقدم، وهو ما لا يقدمه التعليم.

محرك الكشف:

أعلمنا القرآن أن الإنسان يملك قابلية التعلم المستمر، ويوجهنا بآيات التفكر، والتدبر، وتعميق النظر إلى هذا الكون الواسع، فحركتنا في الأرض، وسيرنا فيها بحث عن سنن العمران في تاريخ الأمم، والكلام عن الرسل والصالحين لفَتَ باستمرار إلى نشاطهم في إعمار الكون، وتلك ملاحظات لا تخفى على المتدبر.

إن تعظيم الخالق بمشاهدة مخلوقاته أمر هام لروح الإنسان، واكتشاف القوانين المنظمة لهذه الظواهر هي جزء من تعميق تلك النظرة، والانتفاع بها في مهمة الاستخلاف، والإعمار، فبقدر ما تتغير نظرتنا للكون من مجرد وجود ساكن إلى كنز أسرار يعرض نفسه على الإنسان بتسخير الخالق، ليرى، ويبحث، ويصنع، ليتقي نفسه ويقي غيره من الفقر، والجهل، والمرض، والعدوان، ويحقق -في المقابل- مطالب العدل، والكرامة، والحرية للإنسان.

إن ملاحظة العالم المحيط، ورؤية الظواهر من أبسطها إلى أعقدها، والبحث عن تفسيرها، ومحاكاتها، واختبار الفرضيات عنها، هي ما صنع كل هذا التقدم، والعمران المحيط بنا، فملاحظة الوجود باعتباره كنز آسرار

تختلف عن ملاحظته الشاعرية كملهم للشعراء والآدباء ففي ملاحظة كنز الأسرار طرح للسؤال على الواقع، وفي مقاربة الشعر طرح للسؤال على الخيال، والانفصال عن الواقع، والأمم التي تتسيد عالم اليوم تنهل من الواقع الحي، وتتغذى وتعمل للتقدم، وبالعكس.

محرك التسخير:

بعد أن اكتشف الإنسان ما تيسر له من أسرار الكون، اتجه لتسخيرها، والاستفادة منها، فحول القوانين في كل مجال إلى تطبيقات عملية، وما أشكال الطاقة التي تنير بيوتنا، والماء الدافئ الذي نستحم به، أو نشربه، وما تنقية المياه، ولا تطور الزراعة، ولا الاستغناء عن القوة العضلية بالآلات، ولا التواصل، ولا التنقل، وما حققه من تقدم الإنسان، وراحته، ولا السدود العملاقة، والغوص في باطن الأرض، ولا شق الجبال، ولا اكتشاف المجرات، والارتحال إلى الكوكب البعيدة، ولا آلة الحرب بشقيها الهجومي، والدفاعي، ولا العمليات المعقدة، ولا مواجهة الأوبئة ، والأمراض إلا نتاج محرك التسخير، فقوانين الكون كانت هناك منذ الأزل، ووحدها الأمم التي اكتشفتها هي من وظفها، لتسود العالم.

ولنعد لسياقنا الديني، فلعل قصة ذي القرنين تشير لتجربة كيف سخر ذلك الرجل الصالح ما أودعه الله تعالى في الطبيعة من طاقات، وأدوات، واستخدمها لمنع الفساد، وإنقاذ الناس من الشرور المحيطة بهم، انطلاقاً من ذلك، ونحن نقرأ قصة سورة الكهف المتضمنة لقصة ذي القرنين بتفاصيلها التقنية المتعلقة بتركيبة السد الذي بناه، وحركته في الأرض عموماً، كيف نقرأ بدورنا الطبيعة، وكيف نرى الكون ونتعامل معه؟ وهل نرى أن الكون كنز أسرار يستحق الاكتشاف؟ أم هو كيان مصمت معزول عنا لا نهتم به ولا بالإنتاج عبره؟

فمثلاً:- تلفتُ المجتمعات أوالمؤسسات الجادة دائماً أنظار أفرادها للكون المفتوح الكبير المليء بالأسرار، والذي نؤمن نحن بأن الله سخره الله للناس؛ ولنضرب مثالا بقصة وقعت في إحدى الدول الخليجية، حيث يوجد حقل بحري للغاز، وفي سنة استعانت الشركة التي تدير الحقل بخبير أجنبي، وأوكلت إليه مهمة متابعة حقول الغاز، والإنتاج، وفي ليلة من الليالي المضنية في العمل، لاحظ أسماكاً ضخمة جداً حول منصة إنتاج الغاز، فبدأ مراقبتها، فاكتشف أنها حيتان ضخمة، فدون الملاحظة، وبعد عام تكررت الواقعة وتكررت بأعداد ضخمة جداً فأخذ إجراءاته، وأبلغ المديرين، فرفع المديرون تقريرهم لجهاز البيئة المسؤول بالدولة، فقاموا بتتبع الظاهرة ودراستها، واكتشفوا أن الحقل واقع في ممرات الهجرة السنوية للحيتان، فاهتمت الدولة، ووضعت مسار هجرة الحيتان عبر خريطتها في خريطة العالم، ودخلت ضمن الدول الموقعة لاتفاقية حماية الحيتان، وتحولت مناسبة مرور الحيتان لحدث سنوي، ينقل على إحدى الفضائيات الخليجية. في المقابل، مرت هذه الواقعة بعينها على مهندسين في شركة أخرى ينتمون لثقافتنا وبيئتنا المسلمة، وواجهتهم مشكلة اصطدام نوع غامض من الأسماك بالمنصة، ورووا القصة لزميل لهم لم يكن حاضراً معهم في الرحلة البحرية، فقد تعرضوا لخطر جسيم، ومرت القصة عليهم عفو الخاطر، ولم يعرفوا نوع السمكة التي اصطدمت بالمنصة ورافعاتها الحديدية.

ما الذي اختلف بين الخبير الأجنبي والمهندسين في الحالتين؟ رغم انتماء المهندسين للثقافة التي تتدبر سورة الكهف وتقرؤها كل أسبوع وأن الخبير الأجنبي ليس منتمياً لهذه الثقافة؟

ها هي أزمة الكورونا أتت بكل تحدياتها، وشغلت الناس، وغيرت

حياتهم، فكيف تعاطينا معها؟ هل تدبرناها واهتممنا بها؟ وبأي مدخل فعلنا ذلك؟ هل اكتفينا بالقول أننا أمة التعبد وعلى العالم الاكتشاف والإنتاج؟ أم زاوجنا بين التعبد وأداء فروض الكفايات من جهة والعمل والسعي في الأرض للكشف والإنتاج وإيجاد الحلول؟

الأسئلة الكاشفة لتصور الطبيعة

ومن هنا فإن طريقنا للتقدم يمر عبر استعادة تلك العلاقة البكر بالوجود والطبيعة، وإحياء شغف الكشف، والتسخير، ولو خرجنا من الجانب التنظيري، والمطابق مع الواقع المشاهد، والمنظور، نستطيع أن نطرح على أنفسنا أسئلة كاشفة عن عمق هذا الفهم في مجتمعاتنا:

– هل نربي أبناءنا على التعامل مع الطبيعة، وفحصها؟ أم تغلبنا ثقافة الحفظ والتلقين التي تبعدنا عن ملامسة الطبيعة كما هي؟ ولو قلناها بلغة بسيطة: هل نربط أبناءنا بالتعرف المباشر على الأشياء أم نكتفي بمجرد إلقاء نظرة عليها عن بعد؟

– هل نسبح الله حين اللقاء بظواهر الطبيعة وجمالها ومدهشاتها كمقدمة لفحصها واختبارها؟ أم نقف بعلاقتنا عند الخطوة الأولى؟

– هل يركز خطابنا الثقافي والديني على علاقة الكشف والبحث والفحص وفيه شواهد التوجيه المقصود لردم الفجوة؟ أم لا زال بعيداً عن ذلك؟

– هل نشعر بالفجوة العلمية والمعرفية بيننا وبين الأمم الأخرى بصورة إيجابية، أي أن تغدو تلك الفجوة دافعاً لنا لتغيير موقفنا من الطبيعة،

والدخول في السباق الحضاري في مهمة التسخير؟ أم ندفع في اتجاه الانسحاب والاتكال على الغير في القيام بهذه المهمة؟

– هل نشعر أن الإعراض عن سنن التسخير يشكل تهديداً وجودياً لكياننا كأمة ويجعلنا تبعاً للغير؟ ولأي درجة نكتفي في تعليل تخلفنا بنظريات المؤامرة، ونبحث عن معززاتها بقتل العلماء مثلا وما شابه ذلك من وقائع؟

التصور	القيمة	أبعاد القيمة	المبادئ الأساسية
تصور الطبيعة: هل ننظر لها ككنز أسرار أم لوجود ساكن	الكشف	التأمل	اعتماد المنهج العلمي الحديث.
		التساؤل	تشجيع السؤال المعرفي المنظم. بناء منظومة معرفية تسمح للفرد بالتميز والبحث.
		التقصي	اعتماد المنهج العلمي في النفي والإثبات.
	التسخير	حماية الطبيعة	العناية بالطبيعة وفق أحدث المعارف العلمية.
		توظيف الطبيعة	دراسة الطبيعة وظواهرها وتشجيع الابتكارات النافعة. تجنب هدر الموارد والحفاظ على الطبيعة والاعتناء بها في الوقت ذاته.

يأخذ العلم في أي مجتمع أحد شكلين:

أ- الشكل الظاهر: : يتضمن هذا الشكل ممارسة العملية التعليمية باعتبارها مواد يجري حفظها وتسميعها دون أي عناية أو اهتمام بربط العلم المتضمن داخلها بغاياته في كشف الحقيقة أو الاقتراب منها، أو في وظيفته لتسخير الكون ولا بكونه جزءا من احتياجات مصيرية للمجتمع، فيتحول العلم إلى دور هامشي، وتتركز الغاية على الحصول على الشهادات، وبأي طريقة، فالحصول على الورقة التي تثبت دخول الإنسان في النظام تتفوق في أهميتها على التعرف على المنهج العلمي، والتفكير المنطقي، والمنهجي.

ب- الشكل العميق: الذي يتضمن ممارسة العملية التعليمية كمواد تتجه لإكساب الطالب الشغف العميق بالقراءة، والبحث، والنظر، وتربطه بواقع ما يدرس، فيعاين الطبيعة في مكامنها ملامسة اليد، والحواس، ويعاين المجتمع عبر سبر ظواهره بالاستقصاءات العلمية، ومحاكمة الأفكار، والتعبير عنها بغير الدخول في المغالطات المنطقية، والأوهام.

فالعلم الحق هو ما يمكن الإنسان من التفكير لنفسه، والثقة فيها، والتدقيق المستمر في المنهج، باعتباره منتجاً بشرياً يحتاج لتدقيق مستمر، إن

العلم مشروع لا ينتهي، ولا ينضب، ولا ينغلق في مكان إلا لتفتحه فلسفة العلم من زاوية أخرى، فينكشف فضاء جديد، ومسرح للتقدم.

واقع الحال أن تصور العلم وثقافته تعاني تقزماً واختزالاً لمساره وهامشية في حياة المجتمع، فارتباطنا بالعلم تراكمي ينزل على ورقة الاختبار، وتغدو حبيسة الأدراج، أو معلقة على الجدران بصورة شهادات، والأكثر إيلاماً اكتفاؤنا بالقول: لقد سرقوا هذه الفكرة من العالم المسلم فلان، أو أخذوا هذا التطبيق من المسلمين في المنطقة الفلانية، إن هذا أشبه بالضبط بالعزاء المنفس عن آلامنا، وإدراكنا العميق لتخلفنا لكننا بواسطة هذا الكلام نستلهم عزاء من نوع ما، يسلينا قليلا، لكنه في الحقيقة يديننا، إن المسار الآخر هو مسار الحياة، المليئة بحب الاطلاع، والبحث، يتضمن خوض التجارب، والتعلم منها، والسعي لسماع الجديد ومناقشته، والنقد، الذي يعني تطور الأفكار، والمشاريع دون شخصنة، خلاصة المسار هي الإنتاج المعرفي الغزير، حيث يدرك أصحاب هذا المسار أن العلم اليوم هو الذي يُعلي من شأن مجتمع على آخر، ويوصله في نهاية الأمر ليكون صاحب كلمته وقراراته، التي ستتحكم بمصير وجوده وتنميته واستقراره.

محركات العلم

هذه المحركات هي الدوافع التي بها ينطلق العلم، وعبرها يتحرك، وهي ثلاثة محركات:

١-محرك السؤال:

المحرك الأول هو السؤال، ويتضمن عنصرين هامين هما: السؤال المستمر

والشك العلمي، ويمثلان معاً جوهر المعرفة، ومحصلة ما أنتجه الإنسان، حيث يسمح السؤال المستمر بالإضافة على المعرفة باستمرار أما الشك العلمي فينبغي التنبيه أولاً أنه يختلف عن الشك المَرَضي، فالسؤال العلمي يقابله تطوير منهج بحث يسمح بمعايرة –قياس– الوسيلة، والنتيجة من قبل أي باحث آخر في أي مكان في العالم، أما الشك المرضي فدوران في النقطة ذاتها دون منهج للخروج من دائرة الشك، وبهذا لا يختلف عن الدغمائية التي تعني الإجابات المتكررة التي تستبطن اليقين غير العلمي، ولا تقبل الفحص العلمي من أي طرف سوى قائلها.

إن العلم وتطوره مرهون بإنتاج الأسئلة باستمرار، والمجتمعات التي تخاف السؤال، أو تحرّمه تحكم على نفسها بالهلاك، فالأطفال يولدون بخاصية التساؤل المستمر، والبيت، والمدرسة، لديهما خياران إما تقويم هذه الخاصية عند الأطفال، وإما أن يكبتاها ويقتلاها.

كما البيت والمدرسة، فإن موقف المجتمعات من العلم أيضاً إما ادعاء تشجيعه في معرض التمدح، وخلافاً لذلك تخاف –في واقعها– من السؤال، ومن نتائج العلم التي تخاف أن تأتي على منظوماتها المتقادمة، لكونها في الأصل تخاف الجديد، وتهابه، ولا ترغب حتى في فحصه، أو أنها صادقة في زرع محرك العلم، وهذا الموقف يظهر في تطويرها للمنهج والمعلم، والإعلام، والأسرة، وفي اعتمادها العلم في شؤونها المختلفة، والاعتماد على مخرجات تعليمها في تغذية مراكز دراساتها، ومعاملها، ومصانعها وفق ملكاتهم العلمية، واعتماد المشروع الوطني على مخرجات التعليم في تحقيق الاستقلال، والاكتفاء وفق ظروف كل بلد، وبهذه المؤشرات تتضح المصداقية، وتكتسب العملية التعليمية قيمتها.

٢–محرك النقد:

تعيش المجتمعات وتتطور نتيجة النقد العلمي، فالنقد في الحياة اعتراض على قديم سابق، كما أن كل جهد علمي يضيف إضافة حقيقية، فإنه في الحقيقة يشير لنقص فيما سبقه، إنها حقيقة لا تبصرها المجتمعات المتخلفة، فهي لا تدرك أن تقدم الحياة ابن محرك النقد، والعلاقة تلازمية بين الخوف من النقد والتخلف، فالمجتمعات والأجهزة العلمية التي تخاف النقد وتتحسس منه، تحكم على نفسها بالفناء دون أن تشعر.

وعلينا التساؤل بجدية عن موضع البشرية لو أنها جمدت على منتجات قرن مضى؟ إنه من الملاحظ أنه مع تسارع معدلات التغيير أصبح من يتخلف بضع سنوات يبدو خارجاً عن السباق، فإعداد العقل الاجتماعي ليتصالح مع تلك الحقيقة الواضحة مؤشر سلامة وضمانة تقدم مستمر، لا يستغني عنها أي سياق اجتماعي أو علمي.

٣–انتاج المعرفة :

إن إنتاج المعرفة ثمرة محرك السؤال والنقد، فحين ينتبه المجتمع لمؤشر إنتاج المعرفة، لا يكتفي بالشكل الظاهر من الخريجين، وشهادات الدكتوراة، والبحوث بل بثمار ذلك من الفتوحات العلمية، والابتكارات، والإسهام في تطور العلم على مستوى العالم.

الأسئلة الكاشفة لتصور العلم

لو أردنا تحويل ذلك إلى أسئلة كاشفة عن عمق العلاقة بالعلم لقلنا :

– ما درجة انتشار حب السؤال والمعرفة عندنا؟

– ما درجة القدرة على المحاكمة النقدية للمشاريع والأفكار بموضوعية؟

– ما درجة اهتمامنا بالعلوم غير الدينية واحترامنا لتنوع التخصصات ونظرنا إليها على أنها كلها متساوية لكونها تؤدي المقصود في صلاح الإنسان وإعمار الأرض؟

– ما مستوى التصميم على المثابرة والنظرة المستقلة والبحث بمعيار الزمن والجهد في أفراد المجتمع؟

– ما مستوى الانفتاح دون خوف على الأسئلة الصعبة في مجالات الحياة المختلفة؟

– لأي درجة يحب أفراد المجتمع ملامسة الظواهر واختبارها حسياً في العلوم التطبيقية؟ ولأي درجة وصل الاقتراب في العلوم الإنسانية من الظواهر الاجتماعية المتنوعة؟

– ما الوقت الممنوح كماً وكيفاً في المدارس للنشاط العملي ودرجة جودته؟

– ما مدى قوة الترابط بين التعليم والاحتياجات الوجودية لدولة ما في مجتمعاتنا العربية والإسلامية؟

التصور	القيمة	أبعاد القيمة	المبادئ الأساسية
العلم كمشروع للكشف الكوني والتقدم	التساؤل	القراءة	اعتماد المنهج العلمي الحديث
		متابعة التطور العلمي	التواصل مع مصادر التعلم ومراكزه • تشجيع المثابرة طويلة الأمد • المتابعة والتقييم للحراك العلمي.
	النقد	الموضوعية	تدريس شروط الموضوعية كمبدأ أصيل للعلم • متابعة التطبيق العملي لهذه الشروط في المشاريع والبحوث.
		البناء المنطقي	تعليم التفكير الناقد كمنطلق أساسي لبناء التصورات المحوكمة • تعليم التفكير الممنهج والمنضبط والإبداعي.
	إنتاج المعرفة	التميز بين استهلاك المعرفة وإنتاجها • تعزيز الإنتاج المعرفي والطلاقة الإبداعية والأصالة الإبداعية	تحويل فكرة دخول اقتصاد المعرفة الى نظام كامل يتضمن مدخلات وعمليات ومخرجات وتغذية راجعة وتفاعل مع البيئة الخارجية مستمر.

تعيش المجتمعات البشرية سباقاً محموماً للبقاء والاستقرار والنماء، معتمدة في ذلك على كفاءة العنصر البشري، ودرجة عطائه، إلا أن النظرة للعمل تتفاوت من مجتمع إلى آخر، فبينما تقدس بعض المجتمعات العمل وإتقانه، وتجعل ذلك معياراً لقيمة الشخص، وفي المقابل، هناك مجتمعات يتسم أفرادها بالكسل، وعدم الرغبة في العمل، ويقل في هذه المجتمعات الاهتمام بالإتقان للعمل، ووفقا لمعادلة النظرة للعمل، وجودته تتفاوت المجتمعات، فتحتل بعضها قمة الهرم، وبعضها في القاع.

إسلامياً، يبدو من البدهي القول أن الخطاب القرآني يربط العمل بمفهوم الإحسان، ويجعل سباق البشر مرهوناً بالآية: (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)، ويفتح مساحة العمل لتمتد لكل النشاط الإنساني القاصد، ويحول الأعمال بحسن النية إلى عبادات، إلا أن منظور المجتمعات الإسلامية للعمل ليس نتاج النص القرآني، ذلك أن عوامل ثقافية واجتماعية أخرى تلعب دورها في تحديد تصور العمل، والعلاقة به.

فكم من المجتمعات الإسلامية يسود فيها انخفاض ساعات العمل وانخفاض جودته، بل والبطالة المقنعة؟

لا شك أنه لا سبيل لتقدم أي مجتمع لا يرى قيمة عليا للعمل الشاق المتقن الدؤوب، فكل أعمالنا وممارساتنا وتعاملاتنا في مجال العمل، ليست أكثر من انعكاس لنظرتنا للعمل، إن هذا الموضوع جد خطير، فالصناعة، والزراعة، والأمن، والحرب، والسلم، تعتمد على مردود العمل، وناتجه في المجتمع، لهذا فإن أي مجتمع انخفض فيه الوعي بأهمية العمل مهدد بالزوال في عالم لا يرحم، والتنافس فيه على أشده.

إن النظرة للعمل ترتبط بفهم دور الإنسان في الحياة، ويتصل هذا الفهم بأمور أولها:

الرقابة الإلهية: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ).

دور الإنسان في الإصلاح: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ)، فالإنسان في الإسلام جزء من مشروع كبير يتضمن الرحمة وإقامة العدل بين البشر، وإشاعة محاسن الأخلاق، ولكن هذا المشروع الكبير لا يتم إلا بوجود اللبنات مهما صغرت، والتي وإن تفاوتت أحجامها إلا أنها تلعب دورها في البناء الكبير، وهكذا المجتمعات، فأصغر فرد فيها مسؤول عن الثغرة التي يقف عليها، موقنا برقابة الله تعالى عليه، وعلى هذا فإنه سبحانه وتعالى هو من سيحاسبه على الثغرة التي وقف عليها، وينبغي عليه سدها بأفضل ما يستطيع، ولا عذر له فيما يفعله الغير: (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا).

إن استدامة مفهوم العمل المتقن واستصحابه باستمرار ضرورة حياتية لأي مجتمع، إن الله يجبر قصور المجدين العاملين، ولكنه يتوعد المقصرين: (لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ)، فسوء الأداء في أي مساحة من الحياة، وفي أي مستوى من العمل له عقاب من جنسه بدون استثناء.

وحين يتحمل الإنسان مسؤولية عمل بأجر فأداؤه بإتقان جزء من الوفاء بالوعد والعهد، والله لا يحب الخائنين، ولا يوجد هنا استثناء يخص الأعمال التطوعية، فالعمل التطوعي مرتبط بالكلمة والوعد، والوفاء بالتعهدات أحد أسمى قيم الإسلام التي بيّنها الوحي، وقدمت السيرة النبوية نماذجها، وصناعة المبادرات النافعة بعد الفهم، والوعي دلالة استيعاب، والإنسان واحد من ثلاثة:

إما أن يكون مشروعاً، فيتعب على نفسه تعليماً، ومهارةً حتى يصبح علَماً في مجاله، أو أن يكوّن مشروعاً إن كان من النوع الذي تأتلف حوله القلوب، فيتقوى بفريق عمل، لينفع مجتمعه، وإما أن يدعم مشروعاً قائماً، والبعض يرزقه الله كل ذلك مجتمعاً أو بعضه.

يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بمبادئ: التمرة، والفسيلة، والثوب، فشق التمرة من الخير، يبارك الله فيها فلا تحقرن من المعروف شيئاً، وهذا لمن يستقل تقديم النفع القليل، لأنه عاجز عن الكثير، والفسيلة هي استمرار المؤمن بالعمل والعطاء، ولو بدا أن الأفق غير واضح، وعبر عن ذلك العمل بغرس الفسيلة، ولو بدا أن القيامة ستقوم، وأخيراً الثوب كناية عن ثوب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي فرشه عند وضع الحجر الأسود، وطلب من كل بطن من قريش حمل طرف منه، فبناء الأوطان والأمم ثمرة تعاون جهود كثيرة، وكل منا يحمل طرفاً من الثوب بقدر وسعه، عالماً أن غيره سيحمل طرفاً آخر حتى يتم البناء.

خطورة تقزم مفهوم العمل الصالح:

لقد أخل تشوه مفهوم العمل الصالح أو تقزمه في العقل المسلم بالحضارة

الإسلامية، فأصبح العلم هامشياً في حركة المجتمع، فالقرآن الكريم يشير للعمل الصالح في قصص الأنبياء، والصالحين، فلدينا رسول أرسل لإنقاذ قومه من الطغيان، ورسول يصنع الدروع العسكرية، ورسول يقضي بين الخلق، ونبي يقود ملكاً عظيماً، ونبي يشرف على الاقتصاد، ورجل صالح يبني السدود، وامرأة تربي نبياً، ومؤمن يقف ليعلن الحق.

هكذا يتسع العمل الصالح من نطاق العبادة الصرفة، وأعمال البر الفردية إلى مستوى فروض الكفايات، التي تقوم بها المجتمعات، ومن هنا، لزمت العودة لمفهوم العمل الصالح، كما يرسمه القرآن، والتأسي بالصالحين الذين ذكرهم القرآن، فذلك هو الصراط المستقيم.

والعمل مرتبط بمحركات ثلاثة:

١- الإنجاز: ولا يتم إلا بوجود مخرجات محددة يبتغيها العمل، وبها يقاس تمامه، فبدون معرفة المخرجات المرجوة لا يمكن توجيه العمل، وبقدر أهميتها يبذل العاملون الجهد.

٢- الفاعلية: يقصد به التوصل للمخرجات المرجوة بغض النظر عن الوقت والتكاليف.

٣- الكفاءة: يقصد به التوصل للمخرجات بأقل زمن، وبأعلى جودة وأقل تكلفة.

الأسئلة الكاشفة لتصور العمل

ولنعرف تصور العمل عندنا نحتاج طرح أسئلة استكشافية، مثل:

- هل نحن مجتمع يعمل على سد احتياجاته بنفسه؟
- هل يرى العمل مسؤولية وأمانة وسيحاسب على التقصير فيها؟
- هل نحسن التخطيط والمحاسبة؟
- هل مفهومنا للعمل الصالح عند ذكره بقامة العمل في القرآن -كما بيناه- أم أنه محصور في التعبديات والخير بمعناه الفردي؟
- كيف ننظر للعمل اليدوي والمهن؟
- هل يعطى العمل للقوي الأمين؟ أم هناك معايير أخرى مختلفة؟

التصور	القيمة	أبعاد القيمة	المبادئ الأساسية
العمل كمنظور في علاقته بالإنسان وبقاء المجتمع	الإنجاز	تحديد الأهداف بدقة	وجود المجتمع رهين بالإنجاز وحجمه واحترام التخصص.
	الفاعلية	المثابرة	إتمام الأعمال والاهتمام بالنتائج
	الكفاءة	الجودة	تبني المعايير الدقيقة والمتابعة المنظمة والتغذية الراجعة
	المسؤولية	المحاسبة الشجاعة	التزام مبدأ المحاسبة التزام شجاعة تحمل المسؤولية

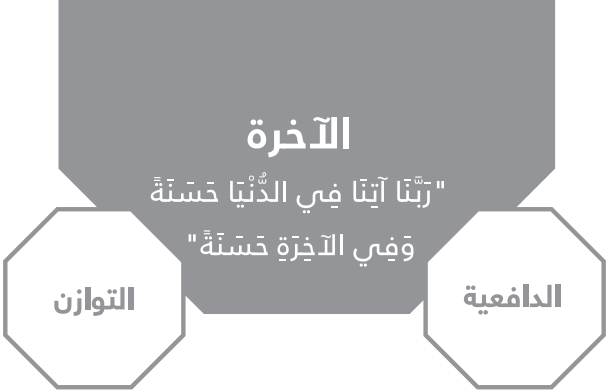

لا تخفى أهمية الدين كعنصر في حياة معظم البشر، والإسلام يجعل الحياة الدنيا دار عمل، والآخرة دار حساب، هذا المفهوم المركزي لبناء المسؤولية اتجاه الأعمال، ومعه تأتي نظرياً مسائل الإتقان، والإحسان، فإذا كان الله رقيباً وحسيباً، فالمؤمن يريد تقديم أحسن العمل، فمن الطبيعي تصور أن المؤمن متقن، محسن، ولكن مشاهدة الواقع الحي، ومفارقات الواقع في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والصناعة، والزراعة، والطبابة في المجتمعات الإسلامية، لا نجد شواهد هذا الإحسان، والإتقان، وعلينا سؤال أنفسنا: لماذا تظهر هذه المفارقة؟

كوابح الدافعية نحو التقدم:

إن أسمى المفاهيم إذا تم تلقيها، وعرضها بطريقة خاطئة، تقود إلى عكسها، فالاهتمام بالإتقان، والإحسان في الحياة مرهون بالتصور عن الدنيا، ودور العمل فيها، فلو عرض على العقل باستمرار أن الدنيا لا أهمية لها، وأن الآخرة لا تقتضي إلا الاحسان في العبادة الصرفة، وأن سائر أعمال العمران صوارف عن الآخرة، فلا مجال للعمران الحقيقي المستمر البناء المثمر مع هذا النوع من الخطاب، فلا غرابة أن نجد آثار ذلك ضعفاً في أمور الدنيا، ولا يعني هذا بالضرورة قوة في العبادات، ولكن سوء الفهم سيسري على المساحتين معاً.

مطلب التوازن:

القرآن صيدلية دواء تتكامل وصفاته، فهو يحذر الإنسان من الغرق في الدنيا، ونسيان الجانب الروحي، وفي الوقت ذاته، يدعوه للتمتع، والتجمل، ويعرض عليه نماذج الصالحين، وأعمال العمران في شتى مناحي الحياة، ولكن التوازن في الفهم أصعب من الانحراف لأحد المسارين، فمسار: (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) هو الخيار الصعب، وهو ما يحتاج لتذكير مستمر.

العمل الصالح بمعيار اليوم الآخر:

يؤكد القرآن أن (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) صراط الذين أنعم الله عليهم، وهؤلاء هم: الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون، ويقدم نماذجه في كتاب الله بأنصع الصور، إذ يظهرهم القرآن دعاة للتوحيد، وعبادة الخالق، وهم في ذات الوقت يقومون بأعمال العمران، وإصلاح الحياة، فلنتأمل تلك الأعمال ابتداء على سبيل المثال لا الحصر:

١- موسى ومقاومة الطغيان

٢- عيسى وتطبيب البشر

٣- داوود وصناعة الدروع العسكرية

٤- سليمان وإدارة الملك والقضاء

٥- يوسف وإدارة الاقتصاد

٦- ذو القرنين والمشاريع العملاقة

٧- نوح وصناعة السفن

٨- شعيب ومقاومة الغش في التجارة والتطفيف في الموازين.

٩- لوط والحفاظ على الأمن الاجتماعي وتقويم السلوكيات الخاطئة.

١٠- هود ومقاومة فكرة البطش والقهر.

١١- صالح ومقاومة الإسراف والتبذير والطغيان.

١٢- إبراهيم عليه السلام والحجاج العقلي المنطقي الواعي.

١٣- إسماعيل عليه السلام والوفاء بالوعود كأصل للوفاء بالعهود.

١٤- زكريا ويحيى ومواصلة مسيرة الإصلاح الاجتماعي.

١٥- محمد -عليه وعلى أنبياء الله الصلاة والسلام- يبني أمة ويؤسس للمجتمع العادل.

هذه صورة بعض الذين أنعم الله عليهم في القرآن، يتضح عبرها الفارق بين مفهوم العمل الصالح في القرآن، وهو مفهوم يؤهل الإنسان لآخرته، مثله مثل العبادات الصرفة، ويظهر معه أن حياة هؤلاء توازنت فيها الأبعاد فبين الدنيا والآخرة رباط متصل، يجمع بين الإيمان العميق والعبادة الشعائرية الصادقة والعبادة الإعمارية في الأرض، وجليٌّ عبر هذا المفهوم أن من لم يملك زمام العلم في الدنيا، لم يحافظ على دينه، ولا دافع عن مقدساته.

في المقابل، ليس من المعقول التحذير من الاهتمام بأمور الدنيا، لكونها دار الفناء، وعوضاً عن ذلك لا نذكر أنها دار العمل الصالح الذي يبقى فيما تزول هي فعلياً، ليس منطقياً أن نحقر الدنيا، ونلح على تكريس مفهوم حقارتها، متجاهلين أننا نأكل ونشرب ونتداوى بما ينتجه غيرنا، كما أنه

ليس من المعقول وليس من المقبول الاستخفاف بالعلوم التطبيقية والحرفية، فيما نستورد أسلحتنا.

ومن هنا نستطيع أن نرى:

-- أن الدنيا والآخرة في السياق القرآني يقيمان علاقة توازن.

- العمل الصالح في القرآن مزيج من العبادة الصرفة، وأعمال البر والإحسان للناس، وإعمار الأرض.

- العلم والعمل والثروة والمهارات والوقت والفكر كلها طرق لفعل الخير، ومنها ينفق الإنسان لينجز ويحقق أهدافه وغاياته.

الأسئلة الكاشفة لتصور الآخرة

وهذا يحتاج منا لطرح بعض الأسئلة الكاشفة لمجمل خطابنا، وأين يصب:

-- هل نستشعر قصورنا في أمور الدنيا بين أمم الأرض؟

- ما نوع المسؤولية التي نستشعرها عند تذكر قصورنا في هذه الأمور الدنيوية؟ هل هي مسؤولية دينية أم دنيوية أم الاثنين معاً؟

- ما الذي يتم استدعاؤه عند ذكر العمل الصالح هل يتم استدعاء الصناعة والتجارة والزراعة والإتقان والإحسان في الحياة مع العبادات؟ أم ينصرف الذهن إلى نوع خاص من الأعمال كرعاية الأيتام وحفر الآبار وإقامة المساجد؟ وما درجة توازن الصورة؟

التصور	القيمة	أبعاد القيمة	المبادئ الأساسية
الآخرة وتصور العلاقة بالدنيا	التوازن	تحرير مفهوم علاقة الدنيا بالآخرة	التأكيد على أن الدنيا مزرعة الآخرة بالمعنى القرآني لا بما ترسب في العقول • شمولية العمل الصالح لكل قول أو عمل يدخله الإحسان والنية الصالحة والقصد الصالح.
		العمران ووقف الفساد وسفك الدماء	دعم كل عمل خير ينشر العمران ويوقف الظلم • تقديم العون لكل بني الإنسان بغض النظر عن الدين والعرق واللون والمكانة والدولة • تبني التوافق مع بني الإنسان في ما يمنع الظلم والعدوان والإفساد في الأرض.
	الدافعية	الأمل والرجاء	بث التفاؤل • تحفيز المشاركة الاجتماعية والإحسان في الأداء.
		الاستمرارية	تعزيز روح المثابرة • تعزيز مبدأ التسابق للخيرات • تعزيز التفكير والتخطيط الاستراتيجي وثقافة الاستدامة.

الوقت هو الحياة ذاتها، إنه أثمن بضاعة يمتلكها الإنسان، كما أنه ثروة ناضبة لا يمكن تخزينها، ومن الجلي أن أفراد كل أمة يختلفون في طريقة الاستفادة من هذه الثروة الناضبة، وبناء على طريقة استغلالهم الوقت تتحدد مكانة الدول والأمم في خارطة العالم، وفي صفحات التاريخ.

يبين القرآن بوضوح تلك الحقيقة عبر التركيز على علامات الوقت، فالقسم بالضحى، والفجر، والليل، والنهار... منتشر في كتاب الله، ولو تأملنا سورة العصر، لوجدنا أن أخطر ما يمارسه الإنسان هو إهدار الوقت: (وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)، فالإنسان في سباق مع الوقت، وترسم السورة الطريق لكسب هذا السباق، ليس بالعمل الصالح وحسب، بل بالإيمان والعمل الصالح ثم التواصي بالحق ورده لأهله، والتواصي بالصبر على هذه المهمة الشاقة.

إن مفهوم الحقوق يشمل كل عمل أو قول، فما يعتبر حقاً لطرف بالضرورة واجب على طرف آخر، إن ضمانة النجاة والنجاح في المجتمعات تتأتى بتنظيم أخذ الحقوق والحرص عليه، فحق الله وحق النفس وحق الخلق إنما هي مرتكزات استثمار الوقت، وعدم خسارته، وهو منظور يقود لأمرين مهمين:

الالتزام:

في حديث الرسول –صلى الله عليه وسلّم–: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» يرشدنا إلى قيمة الالتزام، فالوقت غنيمة، ولا بدّ من استثماره بالشكل الأمثل لتحقيق أفضل ما يمكن تحقيقه. وهذه النصوص وغيرها إنما تدل على أصالة قيمة الوقت في المكوّن الثقافي الديني لمجتمعاتنا، لذا فقد شَكّلت وجدانَ قيمة الوقت المدّعاة عندنا بشكل راسخ، لكنّنا لم نحوّل ما ندّعي إلى أرض الواقع وبقيت قيمة الوقت مختزَنة في عقولنا وخطابنا.

يجب أن يتحول الالتزام بإعطاء الحقوق لله وللنفس وللخلق لأمر أصيل متكرس لمن يعي ويفهم ارتباط الوقت بالعمل، وهو ارتباط ذو نهايتين الأولى أخروية، فتخزين الوقت بشكل أعمال صالحة متنامية الحسنات بفضل الله تعالى هو ضمانة النجاة الأساسية في الدنيا والآخرة، والنهاية الثانية ما اتصل بالدنيا فعلامة التقدم في مجتمعات العمل الجاد الالتزام بالوقت وحفظه، حيث يعتبر الوقت هو الثروة الأهم، ويجري استثماره باستمرار، فيخرج مفهوم احترام الوقت إلى فضاء واسع سواء أفراداً أو مؤسسات أو مجتمع عام، فكل تأخير أو تسويف أو عدم يغدو في نظر المجتمع والأفراد ضاراً بالفرد والمجموع، وانتقاص من حق الأطراف الأخرى، هذا ما ولد أفكار التخطيط للمجتمعات التي أدركت قيمته، بخلاف المجتمعات الأخرى التي لا يعني لها الوقت شيئاً، بل يعد عبئا ينبغي التخلص منه، ويتبادل الأفراد الأفكار في هذا المجال.

الزمن واتجاه النظر:

إن اتجاه نظر الأمم للوقت يظهر في معاملاتها الثقافية وقضاياها، فبعض الأمم تجعل محور اهتمامها: التمركز في المستقبل، فتهتم بموقعها المستحق بين الفائزين بسباقه، وتكرس جهدها لتخصيص الأوقات، والتخطيط الجاد لمعانقة الغد بتحدياته، بخلاف حال بعض الأمم التي تفقد بوصلة المستقبل، وتدور في طاحونة الحاضر، بلا أفق مستقبلي، تتحدد من خلاله الأولويات، وتترتب الأنشطة، عدا عن أن هناك أمما مشغولة بصراعات الماضي، وقضايا التاريخ، لا تلتفت لحاضر، ولا تعانق المستقبل، تمثل العودة للماضي شكلاً ومضموناً أقصى أمانيها، تلك هي أحوال الأمم، وعليه تتحدد مصائرها.

الأسئلة الكاشفة لتصور الوقت

ويمكن أن نطرح هنا أسئلة كاشفة عن تصور الإنسان والمجتمع للوقت:

- ما درجة الحساسية في المجتمع تجاه الوقت فيما يتعلق بدقة المواعيد والإيفاء بها؟

- ما موقع التخطيط للوقت ضمن المهارات التي يتلقاها النشء؟

- لأي درجة يحضر المستقبل وتحدياته في شعورنا وخططنا اليوم؟

- لأي درجة يحضر الماضي وقضاياه في نقاشاتنا؟

- ما شكل حضور المستقبل وتحدياته في شعورنا وخططنا؟ هل يأخذ شكل الأماني أم الأهداف المقيسة المحسوبة؟

– ما شكل حضور الماضي في نقاشاتنا؟ هل يحضر ليستعاد كوقت ثمين أم لتؤخذ العبرة منه؟ أم لنتحسر على ما كنا عليه مقارنة بما نحن عليه اليوم؟

– كم درجة ترتيب أولوياتنا؟

التصور	القيمة	أبعاد القيمة	المبادئ الأساسية
الوقت	الالتزام	احترام الوقت	الوقت هو الحياة وإهداره هلاك للمجتمع ككل.
	المستقبل	مواجهة التحديات	نحن ننظر لقضايا الحاضر في ضوء متطلبات المستقبل ونستعد من الآن.

تشهد المجتمعات البشرية تنوعاً فكرياً وعرقياً ودينياً، كما ساهمت عوامل عديدة في ظهور هجرات عديدة ومتنوعة، وأبرز مثال ما تشهده أوروبا من موجات هجرة متنوعة الأعراق والأديان، تنشأ عقبها أجيال جديدة من أبناء المهاجرين، فندر وجود المجتمعات أحادية الأعراق، ويصاحب التنوع دائما نوازع شتى تقود للتفرقة تهدد في الأوطان عناصر الاستقرار، فتتعرض لشتى المخاطر الوجودية، التي تؤثر لا على استقرارها فحسب بل تقوض وجودها، وهنا تلعب قوانين المواطنة المتساوية دوراً مهماً في بناء الاستقرار ومن ثم النمو.

هذا الفهم يقتضي منظوراً يتصور أبعاد الموقف الكلي والحاجة للوحدة الوطنية لسلامة الجميع، ليس من اليسير أو السهل تكوين هذا المنظور، خاصة مع تنوع موجهات التكوين الثقافي من المدرسة للمسجد للإعلام وختاما بالبيت، يقود القصور في أحد هذه الجوانب إلى قصور كامل في بقية الحلقات والجوانب، ما يؤدي لتهديد وجودي للمجتمع، إذ يجب الارتكاز على مفهوم أن التربية الجيدة تثمر إيجاد الاحترام والقوانين التي تساوي بين المكونات المجتمعية عموماً.

الاحترام:

نردد دائماً الاتحاد قوة والتفرق ضعف، كما نعرف جيداً أنه عند تعرض مجتمع لتهديد خارجي، فإن الصمود سيكون من نصيب المجتمعات التي بها علاقات داخلية قوية مؤسسة بصورة أفقية، وأعني بالشكل الأفقي هنا وقوف الجميع على أرضية واحدة، هي المساواة في الحقوق والواجبات، حينها يغدو حفظ الوطن هم الجميع المشترك، ويمكن حينها عبور التحديات بتعاون مكونات المجتمع الواحد، فاحترام المكونات المختلفة والعلاقة السوية التي تقوم بين الفئات المختلفة على قاعدة قبول التنوع وتفهمه هي أكبر ضمانة لسلامة الأوطان.

وقد أثبتت التجارب أن المجتمعات التي تعاني انقسام مكوناتها، وتظهر فيها سياسات التمييز الداخلي، تنقسم فور مواجهتها الأخطار بمقدار يساوي تماماً حجم الشروخ الداخلية والتمييز داخلها، فمع الاحترام، يتحول التعدد والتنوع لمصدر ثراء وقوة للمجتمعات، إذ يقاوم كل ما يفتت الجبهة الداخلية، ويضعفها.

المواطنة:

تعني المواطنة في السياق القانوني وجود مكانة رسمية للأفراد داخل المجتمع، تتأسس عليها حقوقهم وواجباتهم، وتتولد عبرها مشاعر الانتماء والهوية المشتركة، والتي تغدو بدورها قيمة مركزية حفازة دافعة للتضحية والعطاء، والعلاقة طردية بين المواطنة من جهة، والتمتع بالمساواة والحرية والكرامة، ويتبع ذلك الالتزام بالقانون والعطاء والبذل.

والمواطنة بالضرورة ذات بعدين: بعد قانوني وبعد ثقافي، والأخير ضروري

لتحولها لبعد اجتماعي فعال، ما يعني بالضرورة المرور عبر مراحل :

١- مرحلة الشعور: أو دخول القيمة دائرة الفعل الواعي اجتماعياً، ويُقصد به رفع درجة الإحساس بالقيمة لدى المجتمع، وتكثيف الحالة الشعورية بأهمية وجودها من خلال التناول الثقافي لها، وبيان أهميتها وصناعة صورة مثالية مستقبلية في نفوس الناس لتتشكل رؤية مجتمعية محفّزة للتحرك نحو القيمة.

٢- مرحلة الكتلة الحرجة: بالقيمة لكتلة حرجة مؤثرة من المجتمع، ويُقصد بها الوصول بقيمة المواطنة إلى أكبر قدر ممكن من نُخَب المجتمع، بحيث تتكوّن كُتلة حرجة تؤمن بأهميّة الفكرة وتعمل من أجلها.

٣- مرحلة الانتشار الواسع: مرحلة نشر القيمة في عموم المجتمع، بحيث تصبح حديثَ الناس وقناعتَهم وسلوكَهم، وذلك من خلال إشاعة الفكرة وتبسيطها عبر الفنون والمشاريع حتى تصل إلى وعي الناس ووجدانهم.

٤- مرحلة التقنين والحماية: تكُون الحاجة في هذه المرحلة إلى وجود مؤسسات تُسهِم في نشر قيمة المواطنة وحمايتها، والوصول بها إلى الفاعليّة في المجتمع، والسعي في بناء نظام حماية، حيث تُسن القوانين من قِبَل الدولة لحماية هذه القيمة من أي جهة تحاول النيل منها.

الأسئلة الكاشفة لتصور الآخر القريب

الأسئلة الكاشفة عن البناء الاجتماعي وتماسكه:

- ما درجة نضج الخطاب الوطني الموحد؟
- ما درجة الوعي الاجتماعي بأهميته؟
- ما درجة تعبير القوانين عنه؟

التصور	القيمة	أبعاد القيمة	المبادئ الأساسية
الآخر القريب	الاحترام	احترام الحقوق	مطلب المساواة استحقاق وطني.
		التعامل بدون تمييز	منع التمييز الثقافي وأشكال القسر الثقافي.
		الانفتاح على الآخر	الحث على معرفة ثقافة الآخر وعاداته وتقاليده • تعزيز مبدأ مشاركة الآخرين في الثقافات المشتركة • التأكيد على مبدأ قبول الآخر عند الاختلاف.
	المواطنة	المفهوم الحقوقي	تعزيز مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات لدى الأفراد والجماعات • التأكيد على أحقية الأفراد والمجتمعات في الحصول على حقوقهم • التأكيد على مبدأ حرية التملك سواء للذكر أو الأنثى • التأكيد على حق التملك للجنسيات الأخرى داخل المجتمعات (بغض النظر عن العرق أو الدين أو الجنسية).
		المفهوم الثقافي	تعزيز القيمة في محاضن التنشئة • تعزيز مبدأ التعايش مع الآخر ومشاركته في بناء المجتمعات • التأكيد على إيجاد آليات دعم ودمج قيم العيش المشترك بين المجتمعات (الجوائز العالمية)

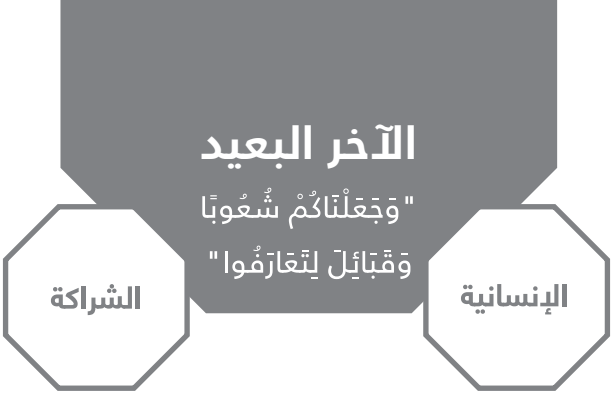

هذا التصور يُعنى بالتحديد بنظرتنا إلى الشعوب الأخرى، ومدى إحساسنا بهوية إنسانية جامعة توحد بيننا كبشر على اختلاف خصوصياتنا الثقافية، إذ تبني ثقافة كل مجتمع –وهذا ما قد يثير استغراب البعض– جسوراً مع الأمم الأخرى للتفاهم، والتفاعل، والتطور المشترك، وقد تبني كذلك حصوناً ذات أسوار عالية، وفواصل حادة، بل تقود للاحتراب، والخسارة.

وفي عالم اليوم، حيث تطورت التقنية، وترابط العالم اقتصادياً، وأصبحت كلفة الحروب عالية، وقيمة التقارب عالية، يولد في كل مجتمع سؤال طبيعة الثقافة التي يحملها أفراده، ولأي اتجاه تقود، وهذا يعني حضور مفهومي الإنسانية، والشراكة.

الإنسانية:

يؤكد القرآن منشأ البشرية الواحد: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ)، ويجعل التنوع البشري مدعاة للتعارف الكوني: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)، ويقيم رابطة: (الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ)، ويستوعب بعمق حقيقة أن إقامة العدل الكوني الإنساني كانت سبباً لإرسال الرسالات: (وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ).

هذا التعارف الكوني يتسق مع غرضي وجود الإنسان في الأرض وهما متصلان بالعمران: وقف سفك الدماء، ووقف الفساد في الأرض، فاختلاف البشر التكويني الذي يرد في الآية: (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)، لا يمنع من تعاونهم لاستمرار العمران في الأرض، وهذا يعني وجود قيمتين كبيرتين: التعارف والشراكة.

التعارف:

التعارف نقطة انطلاق العلاقة بين البشر لاكتشاف مناطق الالتقاء والاختلاف، وتثمير مناطق الالتقاء، وتقليل الاحتكاكات في مناطق الاختلاف، والافتراق، إن التعارف مفهوم واسع تجتمع فيه قضية فهم المنطلقات الثقافية، وأنماط السلوك، والدوافع المختلفة، ومعها قضايا المصالح، والمنافع المادية، والمعنوية.

الشراكة:

مع تشابك المصالح في العالم كما لم يشهده عصر من قبل، كما صرنا نعرف بما يحدث أقصى المعمورة، بل ونجد أنه يؤثر على أقصاها، أصبح بناء الشراكات، والتحالفات ضرورة لا يستغني عنها مجتمع، فضمان الوجود، والاستقرار، والنماء قارب بين المجتمعات، ولم تعد الحدود القانونية حدودا بقدر الحدود الشفافة التي تقع فيها المصالح وتنمو العلاقات.

الأسئلة الكاشفة لتصور الآخر البعيد

– لأي درجة تعزز وسائل التربية الاطلاع على الثقافات المختلفة واحترام الاختلاف؟

– لأي درجة يعتبر السعي للتعارف واكتشاف فرص التعاون جزءاً أصيلاً من الثقافة السائدة؟

– ما مدى معرفتنا باحتياجاتنا من العالم واحتياجات العالم منا؟

– ما مدى استعدادنا لبناء حوار ثقافي واضح الأهداف والغايات؟

– لأي حد نبدو مستعدين لتقديم شيء ما لصالح الإنسانية؟

– لأي درجة نلتزم بإدراك احتياجات العالم على أنها واجب وليست منة منا عليهم؟

– ما مدى شعورنا بالتفوق الذاتي والاستغناء عن الآخرين؟

التصور	القيمة	أبعاد القيمة	المبادئ الأساسية
العلاقة بالآخر البعيد	الإنسانية	التعارف	مد الجسور لفهم الآخر • البحث عن فرص التعاون.
		الشراكة	التشبيك والتحالف وتنمية المشتركات • إدراك أساليب بناء الشراكات وغاياتها وتحدياتها • إدراك أصول حل التنازعات والقيم المشتركة التي تخدم ذلك.

التقدم والقيم

من الجلي أن العقلنة واكتساب المكانة عبر الإنجاز هما معيارا التقدم في العصور الحديثة، ولذا فقد قدمت فهم التصورات الكبرى والوعي بها فيما سبق من صفحات، وأسميتها المناظير لتتأسس عليها رؤيتنا للعالم، وما يندرج فيها من قيم، ومفاهيم، فمع العقل ولدت العصور الحديثة، ومنهجيات البحث، والنظر، والتقدم يعني: الانتقال من مجتمعات ما قبل الصناعة إلى مجتمعات الصناعة الدقيقة، والرقمنة، وهذا الانتقال من أشق المهام.

فكم هو شاق أن يقرر المجتمع حرق مراحل طويلة استغرقت عدة قرون من التحولات في المجتمعات الغربية للوصول لنتائج تشبهها في تقدمها المادي والصناعي، فقد شهدت أربعة قرون متصلة سلسلة من التحولات أنضجت المجتمعات الغربية، وصاغت شكلها، وأترك القارئ تخيل حجم التحولات المهولة التي وقعت في مجتمعات الغرب، من الكشوف الجغرافية واختراع الطباعة وعصر النهضة، والازدهار التجاري، ثم الثورة الصناعية، ثم الثورات الكبرى الفرنسية والأمريكية، وما واكب ذلك كله من حركات وضجيج فكري قوي، نقل الغرب إلى ما أطلق عليه المجتمع العضوي أو المجتمعات الصناعية.

إن الأمم التي أرادت إحراق المراحل وقطع المسافة في عقود كالصين، وكوريا، وماليزيا، وسنغافورة، أدركت أن ذلك يقتضي قرارات صعبة بعضها كان ثقافياً، والآخر اجتماعياً، وثالثاً في القوانين واللوائح والتشريعات والإجراءات، يصاحبه انضباط كبير في الأداء، وبناء معايير الجودة، وتبني القيم، وتحويلها لإجراءات، وحمايتها من الاختراق، والتجاوز، وهذه المهمة

الأخيرة بالتحديد لم تكن أمراً يسيراً أبداً، فهو يعني تغيراً جذرياً من مجتمع يعتمد على الروابط الأسرية إلى مجتمع يعتمد على الروابط التعاقدية، والقانونية، وفي هذه المجتمعات المعاصرة لا يعود اكتساب المكانة أمراً قائماً على إرث اجتماعي، بل على كون المكانة ذاتها مكافأة على الإنجاز والجهد المقدم.

إن التحول المراد باتجاه العقلنة واكتساب المكانة بالإنجاز بالضرورة يفكك كثيراً من المفاهيم، ويعيد بناء البنى القائمة في أجزاء كثيرة.

فمنح المكانة عبر الإنجاز يرتبط بالضرورة بالمهارات والتميز لا بالقدرة ولا القوة، ويغدو العلم والمهارة سيدَي الموقف فعلياً في المفاصل المختلفة، فتصاغ السياسات وتصنع القرارات عبرهما، ويغدو هذان العاملان الأكثر تأثيراً في صناعة الحياة.

ولأن البداية تكون عبر مؤسسات التنشئة من بيت ومدرسة ومسجد ومحيط اجتماعي قريب، فينبغي، العمل على تنمية عاملين مهمين: الاختلاف الفردي والتماثل مع الآخرين، فبالأول يبرز التنوع في المواهب والقدرات والآراء والأفكار، وبالثاني ينمو التعاون والرفقة.

والمجتمع ينمي الجانبين كليهما، فالقيم أساس السلوك الاجتماعي، إلا أنها في ظرف مغلق لا تظهر محتوياته من عنوانه، إلا بفتح الظرف، وتحديد دلالات محتواه في الواقع، وإلا بقي معناه مؤجلاً، فماذا يعني العدل مثلا بدون وضوحه في المنظومة القانونية، وماذا يعني الالتزام بالنظام، اذا لم يتضح في موقف الحافلات، ومراجعات المتعاملين مثلاً.

فالقيم لا تصبح واقعاً حياً إلا بفتح مظروفها ونقاشها فلسفياً في

دلالاتها ومبرر اعتناقها، وأولويتها، ومن ثم تحويلها لمبدأ، وتحويل المبدأ إلى إجراءات، ومراقبة التطبيق وحمايتها من التجاوز، والدعوة، والوعظ بالقيم ليس كتطبيقها، لأن الدعوة والوعظ تتحدث عن ما ينبغي، بينما في الواقع وخاصة في مجتمعاتنا التي تواجه اختلالات كبرى، يجد الفرد نفسه في حيرة من أمره، بين مطالب القيم، والمثال، وإكراهات الواقع.

بل قد يصبح الإنسان أكثر ميلاً لعقلنة الخيارات غير الأخلاقية أكثر من البحث عن آلية تنفيذ الخيار الأخلاقي، إذ لا يمكن خلق القيم في الواقع بالوعظ، بل هي شيء نتلقاه من البيئة دون أن نحس، إنه اكتشاف طريق العيش في بيئة ما، من خلال المعايشة.

ولأننا نخاف من الحل والتحول إلى المنظومات القيمية الصلبة، أو تحويلها لممارسات حياتية جادة، فإن الوعظ هو الحل السهل في نظر الجميع، متجاهلين أن الحياة اليومية تحمل القوالب القيمية بصورة غير مباشرة تنغرس آثارها في المتلقين أكثر ربما من الوعظ ذاته، وتبطل مفعوله، ويدخل في ذلك: طريقة الخطاب في المنزل، وآلية حل الخلافات الأسرية، وطريقة التعامل مع مدبرة المنزل، والسائق، وطريقة ركوب الحافلة، وطريقة تعامل الناس في الحياة العامة، ونمط الفصل المدرسي، والعلاقة بالمدرس، وطرق التفكير السائدة، كلها قوالب توجيه غير مباشرة تبطل الوعظ، وتناقض رسالته السامية.

وفي الحقيقة أن مجتمعاتنا تخشى العودة للسواء القيمي، وتستسهل الوعظ وتوصيف الداء، لكنها تخشى الجديد ومحاولة الحل، وتكتفي بالاعتياد وجريان الأشياء كما كانت، وهذا يحمل مكامن الخطر الحقيقية الداهمة.

إن آليات التعديل الممكنة تحتاج إلى مسارين: التأمل الداخلي العميق

ومساءلة الذات ، فطريق التقدم القيمي يحتاج لعكس الآلية، حيث يكون تعديل القوالب المحسوسة هو الأساس، والحديث اللفظي هو العارض، وهذا يقودنا إلى سؤال أعمق: هل التبشير بالأفكار يأتي أولاً أو ظهور النموذج؟

بطبيعة الحال حين يكون المجتمع مسكوناً بقيم مغلوطة، فلا مفر من التبشير بالقيم الحسنة، وكذا النقد المستبصر للذات الاجتماعية أمر حتمي، ويوازي ذلك إنجاز نماذج تطبيقية ولو محدودة لتطبيق النظام بحزم، ليرى الناس الفارق، ومن ثم يعمم النموذج.

فيمكن تخيل مسار يبدأ باختيار القيم المؤثرة حضارياً، ثم تحريرها فلسفياً في مضامين محددة، ثم تعميمها في الوعي لتصبح مسطرة لتعرية الواقع عبر كل وسائل النشر والتأثير، ثم إنشاء نظام الإجراءات الذي يبرزها كسلوك خارجي، ثم عمل نماذج تطبيقية لتمثل هذه القيم، ثم تعميم النماذج بحيث تصبح حاضرة أمام الأعين، إلى أن يكتسب حضورها قوة التمثل الاجتماعي الكامل، ثم حراستها من التراجع أو الاختراق .

إختيار القيم المؤثرة حضارياً ، تحريرها فلسفيا الى مضامين محددة ، ثم تعميمها عبر كل وسائل النشر والتاثير لتصبح مسطرة لكشف الواقع، ثم عمل نظام الإجراءات الذي يبرزها كسلوك خارجي ، ثم عمل نماذج تطبيقية لتمثل هذه القيم ، ثم تعميم النماذج بحيث تصبح حاضرة امام الأعين ، الى أن يكتسب حضورها قوة التمثل الاجتماعي الكامل ، ثم حراستها من التراجع او الاختراق.

في المقابل، هناك نمط استجابات حداثية، وهناك نمط استجابات تقليدية وفقا لما يراه بارسون Talcott Parsons، والذي يقدم لنا في كتابه «بنية الفعل الاجتماعي» the structure of social action تحليلا لتوصيف الفارق بين أنماط التفكير عند الفرد في مجتمع الحداثة، ونظيره في مجتمع التقليد.

يقسمها لخمسة متغيرات نمطية :

- **نمط انفعالي أو محايد عاطفياً**

ففي كل موقف يواجه الإنسان عليه تحديد نسبة العاطفة المطلوبة فيه، فالمجتمع التقليدي يقوم على المجاملة، والمبالغة العاطفية، والإشباع النفسي، والمجتمع الحداثي يقوم على الضبط النفسي والتأجيل لبعض الإشباعات النفسية لتحصيل مصالح أخرى.

ففي المجتمع القروي تكون الزيارة والمراضاة على حساب إهدار الوقت مثلا ، بينما يقوم المجتمع الحديث على ضبط المسألة، والمحافظة على الوقت، وهذا ينعكس على كل أنشطة المجتمع، فالمجتمعات التقليدية يهمها الاحتفاليات، والخطابة، والشعر، وإشباع العواطف على خلاف المجتمعات المتقدمة التي تقوم بحساب النتائج قبل كل شيء.

- **نمط تقدير الإنجاز أو المكانة الموروثة**

المجتمع التقليدي يسأل: من أنت؟ والمجتمع الحديث يسأل: ماذا تستطيع أن تقدم؟ وهذا ينعكس على كل أوجه الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، فملء المواقع يتم على نماذج القرابة، والمكانة الاجتماعية، لا على أسس المعرفة، والقدرة، والإنجاز، وهذا يجعل العالم الثالث في وضعية لا يحسد عليها، فمواقع القرار يتم شغلها باستمرار بفاقدي الأهلية، فتتردى المجتمعات، وتهدر فرص التنمية بسوء الإدارة الناشئ عن سوء إدارة المؤسسات.

- **نمط يستخدم معايير مزدوجة ونمط يضع معايير تنطبق على الجميع**

تسود في المجتمع التقليدي ازدواجية المعايير على مستوى العلاقات، فلكل حالة أو شخص معيار مختلف، بينما في مجتمع التقدم تكون المعايير موحدة للجميع، فالمؤسسية توحد المعايير، وبالتالي يستطيع كل فرد تحديد توقعاته، وترتيب أوراقه، لأنه يتوقع قاعدة المساواة، ولكن في المجتمعات المتخلفة تسود معايير متعددة مثل: القرابة، والصداقة، والواسطة، والمحسوبية، فتضيع الحقوق، وتضطرب العلاقات.

- **نمط التزام محدد أم مفتوح**

في مجتمع الحداثة، تنضبط العلاقة بين الأفراد بإطار العمل، وتتقنن، وتتجه لتحقيق الهدف المطلوب أما العلاقة في المجتمع التقليدي فضبابية، مائعة، وفردانية، وليس لها هدف مرسوم محدد، بل للمراضاة الشخصية، فالحدود بين الشأن الشخصي والمؤسسية ضبابية جداً، فتعيين الأقارب والأصدقاء، ومراقبة العمل، تضيع فيها المحاسبة، والمسؤولية نتيجة القرابات والصداقات.

- **سيادة المصلحة الذاتية أم الجماعية**

تسود في المجتمع التقليدي تسود المصلحة الذاتية في مقابل سيادة المصلحة الاجتماعية العامة في النمط الحداثي، فهدر المال العام ليس مقلقاً، طالما أنه ليس مالاً شخصياً، والأثر العام على المجتمع غير مهم، فمنظار النظر للأمور لا يتحدد على اعتبارات الصورة الكبيرة، بل على اعتبارات المصلحة القصيرة والشخصية والعاجلة، والضرر الاجتماعي الكلي لا يدخل في الحسابات.

المخاطر العميقة التي تواجه مجتمعاتنا وتحول دون امتلاكه للتصورات الكبرى للقيم:

تتحكم في مجتمعاتنا عوامل بيئية طبيعية: كالأديان، والأعراق، والمذاهب، والطوائف، والجهويات، وهي قضايا طبيعية في التكوين الاجتماعي الإنساني، ولكن سياسات الدول عبر أحقاب متطاولة تحولها لمناطق التهاب مزمنة دون علاج شاف، ومع أول ضعف في الدولة الحديثة تظهر كل تلك الشروخ، وتتحول إلى شكل حاد، يؤثر على الاستقرار، وعلى الوجود ذاته، ففي العالم الثالث لا زالت البنى القديمة حاضرة، وفعالة، فرغم نشوء المدن إلا أن القرى انتقلت إليها بأخلاقها، وقيمها، وفي المدن التي تكونت حول أعراف البادية، أو المجتمعات البحرية، لم يتغير الحال كثيراً، وبقيت ذات البنى تعمل بنشاط، بل تعززت بوسائل الاتصال الحديثة.

وبنظرة واحدة للدول العربية كمثال سنجد عمليات استجلاب للجامعات، ووسائل الحياة الحديثة بل وحدثت اختراقات علمية في بعض الدول، ولكن بفحص بسيط سنجد أن التغيرات لم تمس عمق الأفكار المؤسسة للفعل الاجتماعي، فالعنصرية، والطائفية، والقوميات، والقبليات، بقيت كما هي، وتمرر عبر المحاضن التربوية بشكل مستمر من جيل إلى آخر، دون معالجات عميقة من قبل الدولة، بل وفي أحيان كثيرة تساهم الدولة بالدور الأكبر في إحيائها، ومع أول اهتزازات حقيقية في النظام السياسي يعود المجتمع إلى بناه القديمة، بل إلى ما هو أسوأ من ذلك.

وهذا يعني ان مجرد استجلاب أدوات الحداثة من غير تغير حقيقي في المقاربة الاجتماعية لا يصنع فارقا، وعناصر المقاومة الثقافية عالية فيها، كما أن نشأتها المعاصرة لتحويلها لشكل دول تمت من قبل ذات الدول الغربية

المستعمرة، والتي أرادت الشكل دون الجوهر، أو لو أحسنا الظن لقلنا: أن المستعمر كان يريد الأشكال، ولم يكن يعنيه كثيرا التحول الاجتماعي في الاتجاه الصحيح، وعلى كل حال فاستحضار الأشكال بدون وعي بأن التحديث في الجوهر هو تغير بنى فكرية وتصورات، وبنى اجتماعية ومعايير ، لا يفيد بل يضر ضرراً فادحاً.

بوجود كتل حرجة تمارس وتتبنى أوجه العقلنة أو بعضها، يبدو عبور بعض المجتمعات أسهل من غيرها، كما حدث في شرق آسيا، حيث توفرت أقليات صينية، ساهمت في الانتقال السريع، أو بوجود كتلة وطنية مستنيرة، تجاوزت بعض الأوجه السلبية التي تحكم الثقافة كما حدث في الهند، وخلقت كتلة حرجة قادت قاطرة الهند على ثقلها في مسار التقدم بإنشاء أكبر ديموقراطية في العالم.

ولكن في بيئات أخرى، وفي غياب الكتلة الحرجة والنخبة المتنورة، التي تشكل قاطرة للتقدم، عجزت هذه المجتمعات عن تجاوز قشرة التقدم، وأصبح استجلاب الأشكال بديلا عن بحث جوهر التقدم.

كيف يتم تغيير سلوك أفراد المجتمع؟

يقوم تغيير السلوك على ثلاثة ركائز أساسية بحسب علم السلوك وبحسب نموذج عجلة التغيير السلوكي الذي يتناول تغيير سلوك الناس في المجتمعات.

أولا: المقدرة.

تعني أن يكون الشيء المراد تغييره لدى الناس ممكناً، ويتناسب مع قدراتهم على تغييره.فليس المطلوب تقديم النماذج الملائكية للمجتمع والتي يشعرون بالعجز أمامها، فيتولد عندهم إحساس بالدونية لعدم مقدرتهم على مجاراة النموذج المقدم، بل من خلال التدرج في الطرح، والبدء من المسائل التي قد يراها البعض لا تستحق، فتغيير وعي الناس وسلوكهم بكيفية التصرف في الشارع من حيث النظام والنظافة أو للطفل في البيت من حيث الاحترام المتبادل، أو في ردة فعل الناس عند تعرض أحدهم لإهانة بسبب جنسه أو لونه، إنها مسائل تسبق المطالبات الكبرى التي يقفز الناس عادة لها، متناسين أنهم لم يقوموا بتحقيق الحد الأدنى اتجاهها.

ثانيا: الرغبة.

تعني ترغيب الناس في التغيير بربطه بالنتائج والجدوى المرغوبة للمجتمع ككل، فالمجتمعات التي تسودها القيم يشعر أهلها بقيمة أنفسهم، وبقدرتهم على الإنجاز، والإبداع، فهم في سلام، وأمان نفسي مبني على كرامتهم، وصيانة حقوقهم، لا يستطيع أحد انتهاكها، وهم كذلك مقدرون، ومكافؤون لما يقدمونه من علوم ومنجزات.

ثالثا: التمكين.

وذلك يعني إتاحة تقديم الأفكار للجميع، وتيسير عمل المشاريع، وإمداد أصحابها بالأدوات اللازمة لذلك، كذلك يكون التمكين بوضع سياسات وقوانين ونظم تدعم السلوك المنشود، ومحاربة السلوك الخاطئ المراد تغييره، وهو ما ينعكس على كل مؤسسة ابتداء من مؤسسة المنزل، والمدرسة،

وبيئات العمل وصولاً للنظم الكبرى.

ولا يمكن استمرار الدعوة للتصور الثقافي المحفز على التقدم، دون تمكين مؤسسي حقيقي ينعكس على كل السياسات والقرارات المتعلقة بنشر وتمكين هذه القيم، وإلا أصبحنا أمام حالة من التضاد تعوقنا عن أي تقدم حقيقي.

كيف نحافظ على نظام القيم في المجتمعات؟

المحافظة على نظام القيم داخل المجتمع تتم بآليتين: آلية التنشئة، وآلية التحكم والضبط، فآلية التنشئة تعد الأفراد وتزودهم بالقيم والمعايير، وتورثهم ثقافة البيئة ومحدداتها، وآلية الضبط من القانون والإلزامات الاجتماعية تقوم بمهمة معايرتهم وتقييمهم أثناء حركتهم في الحياة بالاتساق بما يعده المجتمع طبيعياً ومقبولاً.

وعملية التنشئة هي التي تمد المجتمع بالأفراد الذي يقومون بمختلف الوظائف فيه، فلو تخيلنا أسرة لا تربي على الكرامة، والنظام، وأداء الواجب، تُسلم منتجها للمدرسة أو للمجتمع، ومن ثم يدخل المدرسة ويتخرج منها كارهاً للعلم، غير مزود بمنهجه، وغير متسلح بالعقلانية في الأحكام، ثم يتولى الشخص الفاقد الكرامة والنظام وأداء الواجب والكاره للكتاب وغير العقلاني منصباً ووظيفة في الدولة ليقوم بها، فكيف يمكن أن يكون عليه هذا المجتمع من الإنجاز؟

إن حالة الاختلال الوظيفي هذه التي تخيلناها ربما تكون بعيدةً مغرقةً في الخيال، لكن ربما لو تأملنا قليلاً لوجدناها حقيقة ماثلةً أمامنا، في مناحي الحياة المختلفة.

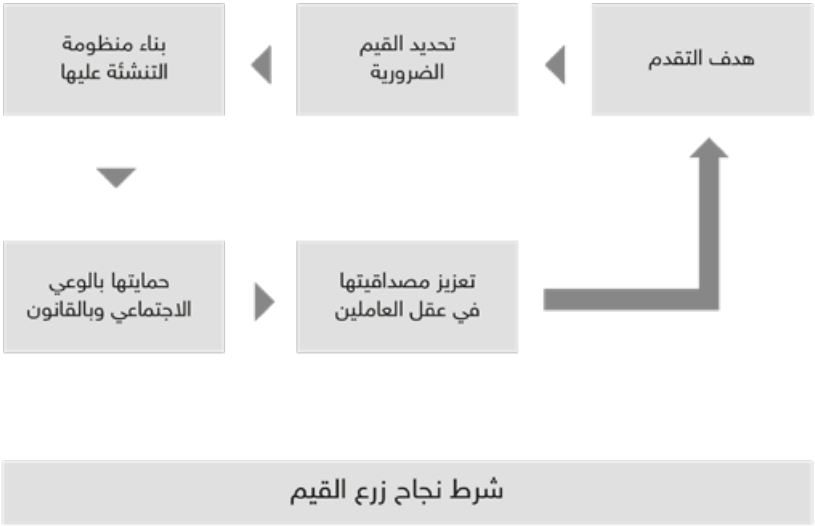

إن إنشاء مجتمعات إنسانية مستقرة هي ثمرة طبيعية لصلاح نظرته للانسان والحياة من حوله، وهذه التصورات المطروحة في هذه الورقات تقدم مرآة تعكس صورة المجتمع المطلوب وتكشف عيوب ما هو قائم إن وجدت، فهي بوجه من الأوجه أداة ومسبار لما يجب تقويمه واصلاحه في العمق، وكل تصور فيها يكشف بعداً مهما من عناصر السلامة الاجتماعية في العمق.

د. جاسم سلطان

www.wijdancenter.net
@wijdancenter